الفصل الثانى

الإطارى النظرى للدراسة

أولا: أنماط التفاعل الأسرى

- مفهوم التنشئة الاجتماعية
- مفهوم الأسرة
- أساليب التنشئة الاجتماعية السوية
- اتجاهات الوالدين فى التنشئة الاجتماعية لأبنائهما
- التفاعل الأسرى وأهميته
- التفاعل الأسرى بين الأهمية والخطورة
- نماذج من الأسرة ودورها فى نشأة الانحراف

ثانيا: متغيرات الشخصية

أ - الشخصية

- مفهوم الشخصية
- دور الأسرة فى تكوين الشخصية

ب - متغيرات الشخصية (مفهوم الذات)

- السواء واللاسواء فى نظرية الذات
- دور الأسرة فى تكوين الذات

ج - متغيرات الشخصية (قوة الأنا)

- نظرية التحليل النفسى فى الشخصية
- نظرية التحليل النفسى فى تفسير السلوك الجانح
- دراسة ردل للأنا الجانح

ثالثا: ظاهرة جناح الأحداث

- مشكلة جناح الأحداث بين الأهمية والخطورة
- التعريفات الخاصة بجناح الأحداث
- العوامل التى يمكن أن تؤدى لجناح الأحداث

obeikandl.com

الفصل الثانى

الإطارى النظرى للدراسة

أولا : أنماط التفاعل الأسرى

(١) مفهوم التنشئة الاجتماعية :

تعد عملية التنشئة الاجتماعية من أولى العمليات الاجتماعية **Social Processes** ومن أخطـــرها شأنا فى حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التى ترتكز عليها مقومات الشخصية فالفرد يولد غير قادر على ممارسة أى شىء فى واقعه المعاش وتتولى التربية من خلال الوعى العام لدى الفرد بالحياة والكون والعالم تطبيعه مع البيئة المحيطة. إلا أن هذه العملية لا تتم فى فراغ ولكـــن فـــى إطار زمانى ومكانى محدد. فهناك بشر وحياة ووجود الحياة بمعناها الايكولوجى والاجـــتماعى والنفسى شرط أساسى لعمليات التنشئة الاجتماعية، وعليه فقد اهتمت الكثير من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية بأساليب التأثير فى سلوك الأبناء. ولذلك فسلوك الفرد هـــو محصـــلة ما اكتسبه من سلوكيات نتيجة التنشئة الاجتماعية بوجه عام، وأساليب الرعاية الوالديـــة بوجـــه خـــاص. والتى هى عبارة عن الطرق التى يتبعها الأباء ويتمسكون بها عند تعـــاملهم مـــع الأبناء فى مواقف الحياة المختلفة ، ويكون لها الأثر الفعال فى التكوين النفسى والاجـــتماعى للأبناء. وتلعب الأسرة دورا هاما فى عملية التنشئة الاجتماعية ، حيث تتيح أول فرصة للتفاعل الاجتماعى والتوافق مع غيره من أفراد المجتمع ، ويضطلع الأباء بمهمة غرس عـــادات ســـلوكية لـــدى الفـــرد وبخاصة تلك العادات التى يتوقف عليها المجتمع والجماعات الإنســـانية **Human Groups** على اختلاف أحجامها وأشكالها ولا يتحقق ذلك للجماعة إلا إذا احتفظت بعاداتها الاجتماعية ومعايير السلوك وضوابطه فيها وقيمتها ومعتقداتها بناء على مقولة أساسية تنطلق منها عملية التربية ومفادها التنشئة الاجتماعية.

(محمود فتحى عكاشة – محمد شفيق زكى – ١٩٩٣ ، ٣٩ : ٤٠)

ولذلـــك يجمع علماء النفس على أن الخبرات الاجتماعية السليمة والعلاقات التى تتوفر للطفـــل فـــى الأسرة فى السنوات الأولى من حياته، تقوم بدور مهم فى تكوين وبناء شخصيته وتشـــكيل سلوكه وتوافقه النفسى وصحته النفسية بوجه عام، وهناك دراسات تؤكد على أهمية الخبرات والعلاقات الاجتماعية المبكرة على نمو سلوك الطفل الاجتماعى ويشير كثير من العلمـــاء إلى أهمية الخبرات الأولى فى تثقيف الطفل فى تكوين شخصيته وثقافته إذ عليها تبنى خـــبراته التالـــية المكونـــة لثقافـــته والأسلوب الذى يستمد منه الطفل ألوان معارفه ومعلوماته وخبراته الثقافية واستجاباته المختلفة والأسلوب الذى يتفاعل به مع خبراته الأولى ليكون أساسا

لخـــبراته التالـــية وهو يمثل حجر الزاوية فى ثقافة الطفل المستقبلية. ولذلك يأتى دور علاقات الوالدين مع الطفل معاملة وتجاوبا فى بناء شخصيته وفكرته عن ذاته.

(فيوليت فؤاد إبراهيم – ١٩٨٦، ٥٣)

ولذلـــك تعـــد عملـــية التنشئة الاجتماعية هى المسئولة أساسا على الارتقاء بالأفراد إلى مرحلة النضج الاجتماعى، مما يجعله فى حالة تكيف مع المجتمع ونظمه، وما يسود فيه من قيم ومعايـــير وأحكـــام. ولذلـــك نعلـــم أن الطفـــل يولد وهو غير متميز بأى قدرة على مواجهة مســـتلزمات حياته الاجتماعية من مهارات على عكس الكائنات الحية الأخرى التى تخرج إلى الحـــياة وهى مزودة إلى حد ما ببعض القدرات التىْ تمكنها من ممارسة ما تتطلبه حياتها من القـــيام بأنواع متعددة من النشاط، فالوليد لا يستطيع أن يتحدث لغة قومه، أو يشارك من حوله فـــى أبســـط مـــا تحتاجه حياته من مأكل وملبس وحماية، فهو كائن حى أدمى الصورة فطرى المسلك، ولكنه عاجز تماما عن ممارسة الحياة الإنسانية، ومن خلال سنوات طويلة من الطفولة تعـــد فـــى نظـــر بعض العلماء ورجال التربية وعلم النفس السنوات الخمس أو الست الأولى أكـــثرها أهمية وخطورة، يدرب الطفل ليكتسب مهارة إنسانية بعد أخرى، وتلك هى المهارات البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية اللازمة لتدبير شؤون حياته وتنظيم علاقاته مع الآخرين، وهـــذا مـــا دعا الكثيرين إلى اعتبار مرحلة الطفولة حجر الزاوية فى بناء شخصية الطفل فيما بعد، وأن على أساسها تتحدد طبيعة هذا النمو ونوعه، حيث أن الأسرة هى المجال الشامل لكل أنـــواع العوامل الاجتماعية من وجدانية وثقافية وحضارية واقتصادية، وليس النمو الاجتماعى للطفل مجرد ثمرة لخبراته مع الآخرين ، بل لابد من تمهيد الطريق له لإشباع حاجاته، وخاصة إلى الأمن والاستقرار. فالأم السمحة العطوفة المتزنة الثابتة فى معاملة طفلها تضع الأسس التى يبـــنى علـــيها اســـتقلاله. ففى السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، تكون الأم هى الملجأ لحاجاتـــه الأساســـية فضـــلا عن أنها تلعب دورا كبيرا فى ملاءمته لحياة الواقع لإشباع بعض رغباته دون البعض الأخر. وفى كنف محبتها وشعوره بالأمن، يستطيع الطفل أن يؤكد استقلاله إذ هـــى التى يقلدها، وهى التى يشعر أنه جزء لا ينفصل عنها، وهى فى نفس الوقت الشخص الذى يعارضه الطفل من وقت لأخر.

فـــإذا كانـــت علاقـــة الطفل بأمه مشوبة بالقلق، وإذا كان تقبله لقيم أسرته سليما، فإن اســـتقلاله لنفسه، ومعارضة رغباته سوف يكونان من العوامل الهامة فى نمو شخصيته وقدرته فيما بعد على تعلم وتكوين قيم خاصة.

ولذلـــك فإن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتحول من خلالها الفرد، بل بواسطتها من كائن بيولوجى إلى فرد اجتماعى. **(أنور محمد الشرقاوى– ١٩٨٦، ١٨٧ : ١٨٨)**

(٢) مفهـــوم الأســـرة

الأسرة هى المؤسسة الأساسية التى اعتمد عليها بقاء المجتمعات منذ بداية التاريخ حتى وقتـــنا الحاضر فهى التى مدت ولا تزال تمد المجتمعات بالبراعم الفتية وتطبعهم بطرق معينة لكـــى يكونوا قادرين على أن يلعبوا دور الراشدين فى مؤسسات المجتمع الأخرى عندما يحين دورهـــم وبالـــتالى يساهمون فى بناء أسرهم من جديد، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأسرة بطبيعة تكويـــنها وتركيبها وما تسهم به فى بناء شخصية الأفراد تعتبر أهم مؤسسة اجتماعية تؤثر فى شخصية الكائن الإنسانى وذلك لأنها تستقبل الوليد الإنسانى أولا ثم تحافظ عليه خلال أهم فترة من فترات حياته وهى فترة الطفولة، وهى الفترة الحرجة فى بناء وتكوين شخصية الإنسان كما يقـــرر ذلك علماء النفس وذلك لأنها فترة بناء وتأسيس، فالأسرة تعتبر الجماعة التى تؤثر فى شخصـــية الطفـــل وتحدد معايير سلوكه وتشكيل شخصيته عن طريق التفاعل الداخلى المتكرر واللقـــاءات الشخصية المستمرة. كما أنها الجماعة التى تستمر فى الغالب فى تشكيل وصياغة هـــذه الشخصية لفترة طويلة من الزمن، الأمر الذى يؤدى إلى تثبيت المبادىء التى تؤمن بها الأسرة فى شخصية الطفل وتدعيمها طوال الحياة.

(عبد الله خوج – فاروق عبد السلام – ١٩٩٥ ، ١٥٠)

كمـــا أن الأســـرة تقـــوم بوظيفة ترفيهية بالغة العمق ليس فقط من خلال ما تتيحه من وســـائل ترفيهية حديثة وإنما الأهم من ذلك إتاحة الفرصة للراحة الجسدية والمعنوية لأفرادها، وبوجه عام فإن الأسرة من خلال ما تقوم به من وظائف متعددة تمثل المصدر الرئيسى لإشباع الحاجـــات المخـــتلفة للفرد خاصة الحاجات الفيزيولوجية والحاجة إلى الأمن والحب والانتماء وتحقـــيق الـــذات. وأيضـــا لهـــا وظائف اقتصادية فالقادرون من أفراد الأسرة يوفرون الأمن الاقتصادى لغير القادرين من أطفال ومعاقين ومسنين، سواء تمثل ذلك فى المأكل أو الملبس أو غير ذلك من متطلبات الضرورة الاقتصادية وعندما يصبح القادرون غير القادرين يجدون فى أبـــنائهم ما يؤمن لهم هذه الضرورة. وبهذا المعنى فإن الأسرة تقوم بدور بالغ الأهمية فى حياة الفـــرد وتشكل دراسة الأسرة المرجع الرئيسى لفهم شخصية الطفل من جوانبها المختلفة نفسيا واجتماعـــيا كما أن فهم الأسرة هو الخطوة الأساسية على طريق فهم المجتمع ككل: ظواهره ، مشـــاكله، أهدافـــه وتطلعاته وبالتالى كيفية تطويره إلى الأفضل فالأسرة هى الوحدة الأساسية الأولى التى يقوم عليها بناء المجتمع والتى ترتكز نظمه على علاقة تساندية وتبادلية ويعتمد كلا مـــنهما على الأخر ويؤثر فيه ويتأثر به ومن خلال رصد وتحليل خصائص وتطورات الأسرة فى مجتمع معين نصل إلى فهم أفضل لفهم بقية النظم فى هذا المجتمع.

(فهد عبد الرحمن ناصر – ١٩٩٩، ٨٩)

(٣) أساليب التنشئة الاجتماعية السوية

لقد وضعت مجموعة من التوصيات تهدف إلى تنشئة اجتماعية سوية ومن هذه التوصيات كانت فى مجال التعامل مع الطفل داخل الأسرة **حيث وضعت مجموعة من الأسس التى يجب على الأسرة أن تتجنبها وهى كما يلى :**

١- التسلط بفرض الرأى على الطفل والتدخل فى شؤونه وخصوصياته وهو ما يضعف من شخصيته وقدرته على اتخاذ القرار.

٢- الحماية الزائدة بالقيام نيابة عنه بواجباته التى يجب أن يتدرب عليها وهو ما يجعله اتكاليا معتمدا على غيره لا يتحمل مسئولية.

٣- الإهمال بتركه دون تشجيع أو متابعة سلوكه وهو ما يؤدى إلى سوء تكيفه مع البيئة وعدم شعوره بالأمن، مع إمكان إقدامه على الانحراف كالإدمان والتشرد والدعارة والانحراف الجنسى.

٤- تدليل الطفل والخضوع لكل مطالبه وتشجيعه على تأدية رغباته بالطريقة التى تحلو له يؤدى لأن يصبح عاجزا غير مستقل فى تفاعلاته مع البيئة غير قادر على مواجهة مواقف الحياة.

٥- الإسراف فى لوم الطفل وتأنيبه وعقابه وإشعاره بالذنب من كل ما يفعله يجعله شديد الحساسية وشديد السخط على كل ما يفعله ويولد لديه لذة فى عقاب الذات.

٦- التفرقة وعدم المساواة بين الأبناء تؤدى إلى الكره والبغضاء بين الأشقاء مع مشاعر تمرد وسخط وقلق واغتراب داخل الأسرة.

٧- الاستكانة لغضب الطفل وتلبية مطالبه تجعله يعتاد هذا الأسلوب ويتمادى فيه كما أن الطفل الذى يكثر تهديده بالعقاب ولا يعاقب يصبح غير مكترث بالتهديد.

٨- تفضيل طفل لذكائه أو وسامته أو تفوقه الدراسى أو لباقته الاجتماعية يؤدى إلى أن يرى الطفل الأخر نفسه منبوذا ويصبح منطويا منعزلاً متوترا.

٩ - المقارنة الخاطئة وتعنى عقد مقارنة غير مناسبة، فالأب الذى يعير ابنته لدمامتها مقارنة بشقيقتها الجميلة أو الذى يؤنب ابنه لقصر قامته أو ضعف بنيته مقارنة بشقيقه القوى إنما يبث فى الصغير مشاعر النقص التى قد تتحول إلى عقدة نفسية يعانى منها طوال حياته.

١٠- الإسراف فى تهديد الطفل أو نقده أو إشعاره بأنه غير مرغوب فيه أو تخويفه من المستقبل يجعله سلبيا متعبا مترددا.

١١- منع الصغير من التعبير عن ذاته بتحقيره أو تسخيفه أو منعه من توجيه الأسئلة أو التعبير أو التعليق على رأيه يفقده الثقة فى نفسه.

١٢- فـرض نظـام صـارم للنظافة والقواعد الصحية والمغالاة فيها تؤدى إلى شعور الطفل وإحساسه بالتعاسة وتكون لديه ميول وسواسية قوية.

١٣- غلو الأباء فى تحديد مستوى طموح يعجز عن تحقيقه الأبناء، ويشعرهم بالفشل والتوتر والقلق والشعور بالنقص والذنب لأنهم خيبوا أمال آبائهم.

١٤- منع الطفل من مجاراة زملائه فى اللعب واستخدام لعب الأطفال فهى تقوم بوظيفة هامة فى التنشئة الاجتماعية حيث تعاون على التخفيف من القلق الذى ينجم عن إحباط حاجاته الفسيولوجية والنفسية الأساسية.

١٥- تحديـد مستويات أعلى لنضج الطفل فالصغير لا يمكنه تعلم القراءة فى السنة الأولى من عمره، وبعد اكتمال بصره وسمعه واستعداداته والتدريب المبكر على المشى لا يؤدى إلى الإسراع فى تعلمه بل يعطله.

١٦- وبوجـه عـام يجب العمل على إشعار الطفل بأنه موضع قبول وتقدير وسعادة واعتبار واحترام وبأنه مفيد له قيمة اجتماعية وأن جهوده لازمة للآخرين مع إبراز ثقتنا واعترافنا به مع احترام الوسطية فى التعامل بشكل لا يؤدى إلى غرور وكبرياء ولا إلى إحباط وفقد الـثقة مـع تنمـية مشاعره بالأمن وإحساسه بأنه محبوب وأنه جزء من جماعة يتعاون أفرادها ويتساندون.

١٧- التساهل فى العقوبات أو القسوة الزائدة باستخدام أساليب العقاب الصارمة والتذبذب فيها أى عـدم استقرار الوالدين على أسلوب معين فى المعاملة يفقد الصغير الثقة فى المعايير والضوابط المقررة.

(محمود فتحى عكاشه -محمد شفيق زكى- ١٩٩٣، ٨٨ :٩٠)

ولذلك يجب أن يتصف الوالدان بالثبات والاتساق ومعنى هذا أن يعاقب الطفل كلما صدر منه ذلك الأسلوب غير المرغوب حتى ولو صدر ذلك السلوك غير المرغوب فيه من الطفل من مـرة فى يوم واحد كقيام الطفل بكسر أثاث المنزل عدة مرات وحتى ولو كان الوالدان متعبين للغاية. فإنه يجب أن يعاقب الطفل فى كل مرة على ذلك العمل وهذا مما يساعد الطفل على فهم أخطائـه وفهـم ما قام به من سلوك غير مرغوب فيه وفهم القوانين والأنظمة التى تحكم ذلك السلوك وبهذا فنحن نعلم الطفل احترام النظام وعلى الرضا بذلك العقاب.

(عبد اللطيف حسين فرج – ١٩٩٦، ١٩)

ولذلـك فإن هناك عدد من العوامل التى تساعد الطفل على تكوين صورة إيجابية عن نفسه ومن أهم هذه العوامل:

١- رعاية الأبوين للأبناء بشكل يكشف للأبناء عن الاهتمام بهم وحاجاتهم الأساسية.

obeikandl.com

٢- الاستجابة للتعبيرات التى تصدر عن الأبناء مثل تعبيرات الراحة أو عدم الراحة.
٣- تنبيه الأبوين إلى ضرورة خلق فرص للأبناء يتاح من خلالها القيام بأداءات ناجحة وتحاشى الأداءات الفاشلة.
٤- الاهتمام بنقاط قوة الطفل وإبرازها له وتمكينه من التغلب على نقاط ضعفه.
٥- الحديث مع الطفل عن المناشط التى يقوم بها بشكل يعكس رضانا عما يفعله وخاصة إذا كان ما يفعله فى الإطار المقبول من الأفعال.
٦- الكشف عن حبك عميق للطفل وخاصة فى السنة الأولى من العمر والتى فيها تتولد مشاعر الارتباط الوجدانى بين الطفل والمحيطين به حيث أن هذه المشاعر التى فى ظلها يتولد قبول الطفل لذاته بوصفها ذاتا محبوبة من الآخرين.

(محيى الدين أحمد حسين - ١٩٨٧، ٢٠: ٢١)

(٤) اتجاهات الوالدين فى التنشئة الاجتماعية لأبنائهما

الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الأبناء هى نوع هام من الاتجاهات الاجتماعية فهى تعبر عن أساليب التعامل مع الأبناء وأنماط الرعاية الوالدية فى تنشئة الأبناء. كما نعتبر فى الواقع بمثابة ديناميت توجه سلوك الأباء والأمهات، وقد أجمع علماء النفس وعلماء الاجتماع على أهمية التفاعل بين الأطفال وآبائهم وأمهاتهم، وتأثير ذلك التفاعل فى تنشئتهم الاجتماعية وفى ارتقاء شخصياتهم ونجاحه فى السنوات الأولى من العمر ويشيرون أيضا إلى أهمية التنشئة الاجتماعية فى تنمية مختلف الوظائف النفسية لدى الطفل ويرى كثير من علماء النفس الاجتماعي أن هناك علاقة مباشرة وواضحة بين متغيرات الوالدين (أنماط رعايتهما للطفل) ومتغيرات سلوك الطفل وشخصيته فقد أثبتت الدراسات الإكلينيكية للأطفال المضطربين والملاحظات التجريبية للأطفال العاديين أن هناك مجموعة من العلاقات السببية بين الأساليب التى يتبعها الوالدان فى تنشئتهم لأطفالهم وبين سلوك هؤلاء الأطفال. وقد أوضحت إنستازى أهمية التفاعل بين الطفل ووالديه وتأثير هذا التفاعل فى رسم شخصية الطفل. فهى ترى أن هناك علاقة ارتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية المختلفة وبين أنماط الشخصية المختلفة.

ولذلك تعرف الاتجاهات الوالدية : بأنها كل ما يراه الأباء ويتمسكون به من أساليب فى معاملة الأطفال فى مواقف حياتهم المختلفة. ولذلك نجد أن الاتجاهات لا تسير على وتيرة واحدة خلال مراحل النمو المختلفة للطفل فهى تتداخل وتتعقد أحيانا وقد تسير فى اتجاه خلافا لما هو مطلوب ويصعب تحديد اتجاهات التنشئة بأبعاد ثابتة محدودة فالفروق الفردية تجعلها تختلف من أسرة لأخرى.

كمـــا أن الأطر الثقافية والطبيعية والاجتماعية وعمر الطفل وعوامل أخرى كثيرة تؤثر فيها. **(محمود فتحى عكاشه- محمد شفيق زكى- ١٩٩٣ ، ١٦٨)**

ولذلـــك ترتكـــز التنشئة الاجتماعية على مجموعة من الأساليب التى تجسد الخصائص الأساسية لتعامل الوالدين مع الأبناء ومن المنظور النمائى فى أبعاده النفسية والاجتماعية تنقسم هـــذه الأساليب إلى أساليب سوية وأساليب غير سوية. والأساليب السوية هى تلك التى تتماشى مـــع متطلـــبات الـــنمو والتوافق النفسى والاجتماعى بحيث تساعد الطفل على أن ينمو نموا صـــحيحا علـــى المســـتويات الانفعالية والعقلية والاجتماعية والبدنية وتتضمن هذه الأساليب: الرعاية والتشجيع والإثابة والرفقة والتوجيه. أما الأساليب غير السوية فى التنشئة فهى عكس ذلـــك إنهـــا تعـــرقل نمط شخصية الطفل ويسود معها توافقه الذاتى والاجتماعى إذا كانت تلك الأساليب هى السائدة على نمط تعامل الوالدين بالطفل. **(نضال الموسوى ١٩٩٩، ٥٣)**

وقـــد قـــدم علماء النفس والاجتماع مجموعة من نماذج الوالدية توضح الأساليب غير السوية فى التنشئة: وتندرج هذه الأساليب ضمن أطر أوسع نطاقا هى ما يعرف بنماذج الوالدية **(بشير صالح الرشيدى - إبراهيم محمد الخليفى - ١٩٩٧، ٣٦٣)**

وتتمثل الاتجاهات الأساسية للأساليب الوالدية غير السوية فى أربعة اتجاهات هـــــى:

١- اتجاه التسلط ٢- اتجاه الكمال الزائد

٣- اتجاه الحماية الزائدة ٤- التجاهل والتساهل المفرط

وإن كل اتجاه من هذه الاتجاهات يتضمن مجموعة من الأساليب غير السوية فى التنشئة بمـــا يعبر عن نمط سائد فى علاقة الوالدين أو أحدهما بالطفل قد يكون ذلك من خلال العقاب الـــبدنى أو العـــزلة الاجتماعية أو النبذ التعبيرى والوجدان كما قد يكون من خلال الحرمان أو الحمايـــة الزائدة أو التساهل أو ممارسة القوة على الأطفال أو من خلال فرض مستوى مرتفع من المطالب الإنجازية وهذه الممارسات ما هى إلا أساليب فى التنشئة تعامل معها الباحثون من جوانب متعددة ورؤى مختلفة. **(نضال الموسوى- ١٩٩٩، ٥٣)**

التسلط- الحماية الزائدة- الإهمال- التدليل- القسوة- التذبذب- التفرقة- السواء

ولذلك سوف تستعرض الباحثة هذه الاتجاهات السوية وغير السوية فى تنشئة الأبناء:

(١) اتجاه التسلط Authoritarian

وهو يعنى المنع والرفض الدائم لرغبات الطفل والوقوف حائلا أمام قيامه بسلوك معين أو تحقـــيق لرغـــبة معيـــنة ويعنى كذلك الصرامة والقسوة فى معاملة الأطفال وتحميلهم مهام ومســـئوليات فوق طاقاتهم بطريقة قوامها الأمر والنهى واللوم والعقاب والحرمان ووراء ذلك

الأسلوب من المعاملة الوالدية أساليب كثيرة منها كون الأباء متزمتين صارمين فى تطبيق المعايير المختلفة على أولادهم دون مرونة أو تخويف ومن مظاهر التسلط على الأبناء تحديد طريقة تناولهم الطعام ونومهم واستذكارهم وتحديد نوعيات أصدقائهم، وتحديد نوعيات ملابسهم وألعابهم وأنشطتهم بل وتحديد نوع الدراسة للأبناء الأمر الذى يسلب شخصياتهم ويحرمهم من ممارسة حقوقهم مما يجعل الطفل سلبيا خائفا مترددا وغير واثق من نفسه.

(٢) الحماية الزائدة Over Protectiveness

يعبر عنه بمدى حرص الوالد أو الوالدة على حماية الطفل والتدخل فى شؤونه إلى درجة يقوم نيابة عنه باتخاذ الواجبات والمسئوليات التى يمكنه القيام بها وعندما لا يتاح للطفل فرصة اتخاذ قراره بنفسه ومن مظاهر الحماية الزائدة قلق الوالدين أو أحدهما حول سلامة ابنهما من أى خطر أو مرض يواجهه وقد تتبع الأسرة هذا الأسلوب مع الابن الوحيد أو مع الطفل الأول فى الأسرة أو مع الطفل الذى جاء بعد تأخر فى الإنجاب لهذا يقوم الوالدان بسلوك ينم عن الخوف الشديد عليه والحماية الزائدة له وهذا الأسلوب يؤدى إلى شخصية ضعيفة، غير مستقلة، مسيرة تتميز بعد التركيز وعدم النضج وانخفاض مستوى الطموح والانسحاب من أكثر المواقف وفقدان التحكم الانفعالى ورفض تحمل المسئولية وعدم الثقة فى اتخاذ أى قرار بدون استشارة.

(٣) أسلوب التفرقة Discrimination

يتمثل فى تعمد عدم المساواة بين الأبناء جميعا والتفضيل بينهم بسبب الجنس أو السن أو الترتيب الميلادى أو أى سبب أخر والواقع أن التفرقة فى المعاملة بين الأبناء فى الأسرة سواء من الأب أو الأم أم منهما معا يترتب عليه تكون شخصيات حقودة ملينة بالغيرة. كما أن الشخص المميز فى الأسرة يحظى بالقدر الوفير من الاهتمام وبامتيازات أكثر من أخوته، وتتكون لديه اتجاهات أنانية ولا يكترث بالآخرين أو يراعى شعورهم.

(٤) اتجاه الإهمال Neglect

يتم بنبذ الأبناء وإهمالهم وتركهم دون رعاية أو تشجيع أو إثابة السلوك المرغوب أو محاسبة وعقاب السلوك الخاطئ وقد يكون النبذ و الإهمال صريحا وقد يكون غير صريح وصور الإهمال كثيرة منها عدم المبالاة بنظافة الطفل أو إشباع حاجاته الضرورية السيكولوجية والنفسية وعدم إثابته ومدحه عندما ينجز عملا طيبا أو السخرية منه فى حالة استحقاقه الثناء أو المدح والتشجيع وهذا الاتجاه يبث فى نفس الطفل روح العدوان والرغبة فى الانتقام وزيادة الحساسية والإفراط فى الشعور بالذنب والقلق، وعدم الانتماء للأسرة والانطواء وعدم الاكتراث

واللامبالاة بمجريات الأمور من حوله. ومن جهة أخرى يمكن أن يأخذ سلوك الطفل مسلكا أخرا وهو التعبير بطريقة سلبية عن عدم الرضا عن المجتمع والسلطة.

(محمود فتحى عكاشه – محمد شفيق زكى- ١٩٩٣، ٧٢ : ٧٤)

(٥) اتجاه التدليل Fondling

ويقصد به تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذى يحل له مع عدم توجيهه لتحمل أى مسئوليات تتناسب مع مرحلة النمو التى يمر بها، وقد يتضمن تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك الذى يعتبر عادة من غير المرغوب فيها ضد أى توجيه، أو نقد قد يصدر تجاه الطفل من الخارج، والتدليل الزائد هو التعبير عن التطرف فى حب الطفل والاهتمام بإشباع حاجاته بصورة مبالغ فيها ويرتبط التدليل الزائد بالحماية الزائدة وإن كان هناك من يعتبر هذه الحماية أسلوبا مستقلا فى التنشئة. **(محمد عماد اسماعيل، ١٩٨٩، ٧٤)**

غير أن التدليل الزائد عندما يتسع مداه ليشمل كل ما يخص الطفل فإنه يتخذ بعض مظاهر الحماية الزائدة والتى تتضمن القيام نيابة عن الطفل بالواجبات أو المسئوليات التى يمكنه أن يقوم بها والتى يجب تدريبه عليها إذا أريد له أن يكون شخصية استقلالية فالأبوان اللذان يتخذان من ابنهما اتجاه الحماية الزائدة فى التربية يعطيانه الفرصة للتصرف فى كثيرمن الأمور كالمصروف أو اختيار الملابس أو اختيار الأصدقاء أو الدفاع عن النفس.

(نضال الموسوى – ١٩٩٩ ، ٥٤)

(٦) القسوة: Crulty

إن القسوة كأحد الأساليب غير السوية فى التنشئة تتضمن الشدة والعقاب والحرمان والتهديد. فالوالدية القاسية هى التسلط المصحوب بالعنف قد يكون ذلك من خلال العقاب والإيذاء البدنى المباشر أو التهديد الصارم بمثل هذا العقاب. وقد تكون القسوة من خلال الحديث الجاف والثورة أو الصراخ فى وجه الطفل ويؤدى أسلوب القسوة إلى إثارة عدوانية مضادة فى نفوس الأطفال ولأنهم لا يجدون فرصة للتعبير عن أنفسهم فإنهم يصبحون عدوانيين وقد تدفعهم القسوة فى المعاملة إلى الانسحاب والانزواء كما قد يتملكهم الخوف والقلق وعقاب الذات

(بشير صالح الرشيدى – إبراهيم محمد الخليفى – ١٩٩٧، ٣٦١).

(٧) الرفض أو النبذ Refusing and Discarding

إن الرفض أو النبذ كأحد أساليب التنشئة غير السوية يتضمن معانى الإهمال والقسوة بما يشعر معه الطفل بأنه غير مرغوب فيه من جانب الوالدين أو أحدهما ويتخذ الرفض مظاهر شتى يبدو فيها القصد والتعمد وعدم الرغبة وعدم التقبل للطفل الأمر الذى يخلق فيه

مشـــاعر الإحباط والدونية والنقص ويشعر الطفل بأنه أقل من غيره فيصبح سلبيا يخشى الناس ويتجنبهم أو عدوانيا منحرفا أو كاذبا قلقا . **(محمد شفيق – ١٩٨٧ ، ٢٦)**

(٨) النقـــد الزائـــد Extra Criticism

عـــندما يكـــون النقد الموجه إلى الطفل فى حدوده الطبيعية وبما يقابل متطلبات التوجيه والضـــبط فإنـــه حينئذ يدخل فى عداد الأساليب السوية فى التنشئة وينصب هذا النوع من النقد علـــى ســـلوك الطفل وليس على الطفل ذاته والتعبير عن النقد إنما يكون بصيغة يفهمها الطفل علـــى أنه ليس ضده أو انتقاصا من شأنه تعبيرا عن رفضه كشخص، وإنما رفض سلوكه غير المقبول. أما النقد الزائد كأسلوب غير سوى فى التنشئة فإنه يتضمن وصف الطفل بنعوت سيئة والتركـــيز علـــى أخطائه باستمرار ومعايرته بما يترتب على هذه الأخطاء مع تجاهل جوانب إيجابـــية فـــى سلوكه وشخصيته والتركيز على سلبياته، وهذا الأسلوب يؤدى إلى تدنى اعتبار الذات لدى الطفل ويصبح بطيء الاستجابة فاقد الثقة.

(٩) التذبذب Oscillation

ويقصـــد به عدم استقرار الوالد أو الوالدة من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب أو بمعـــنى أخر إثابة الطفل على سلوك معين ثم عقابه على نفس السلوك مرة أخرى أو فى وقت أخـــر، وقد يتضمن هذا الأسلوب حيرة الوالد نفسه إزاء بعض أنماط السلوك هل يعاقب عليها الطفل أو يثبه؟ ويفسر ذلك بعدم الوعى التربوى الكافى لدى الوالد أو قلة الخبرة الوالدية.

(نضال الموسوى – ١٩٩٩، ٥٦،٥٥)

(١٠) اتجاه الســـواء Normality

وهـــو أســـلوب يحـــاول تجنب الأساليب التربوية التى تعتبر غير سوية والسابقة الذكر ويعمـــل علـــى تنمـــية قدرة الطفل على الاستقلال بذاته ومشكلاته، قادرا على تقييمها بواقعية ويســـاعده على تقبل ذاته وقدراته الخاصة واحترامها، والثقة فيها وفيمن حوله ومساعدته على الاســـتقلال فـــى التفكـــير والسلوك وتشجيع حب الاستطلاع لديه والدافع للمعرفة والرغبة فى الإنجاز.

ولذلـــك نجد بعد هذا العرض لاتجاهات الوالدين فى تنشئة الأبناء أنها لا ترتبط بسمات شخصـــية الأبـــناء ارتباطا واضحا فى جميع الأحوال مما يدل على أن هذه الاتجاهات الوالدية ليست هى العامل الوحيد المسئول عن تكوين شخصية الأبناء. ولكنها تعتبر عاملا رئيسيا من عوامـــل مؤثـــرة كثيرة منها العامل التكوينى والعامل الوراثى وتأثير المدرسة وشلة الأصدقاء وعوامل بيئية أخرى كثيرة. **(محمود فتحى عكاشة – محمد شفيق زكى– ١٩٩٣، ٧٦)**

(٦) التفاعل الأسرى وأهميته

يعتبر التفاعل المستمر بين أعضاء الأسرة من مظاهر الأسرة الأساسية الذى يعطيها أهميتها الخاصة فى نمو شخصية أعضائها وخاصة شخصية الأعضاء الصغار، بالإضافة إلى تأكيد أهمية هذا الجانب من الشخصية داخل الأسرة، وتؤيد الدراسات الحديثة للأسرة هذا الاتجاه بالنسبة للأعضاء الراشدين وخاصة بالنسبة للزوج والزوجة، وقد زادت أهمية الجماعات الخاصة وهم أصدقاء السوء والمنحرفين، وفيها بيقوم الشخص بإشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية نتيجة زيادة المظاهر الشكلية والعلاقات غير الشخصية فى المجتمع وأصبحت الأسرة بلا جدال من أهم الجماعات التى يشعر فيها الشخص بالأمن والاطمئنان خاصة فيما يتصل بالجوانب الوجدانية من حياته، ولذلك يكون التركيز على الأهمية القصوى للتفاعل الأسرى بالنسبة للطفل وما تضمنه من تفاعل بين الأشخاص حيث يتعلم الطفل أسلوب الحياة وتأخذ شخصيته أول أشكالها ويستمر نمو هذه الشخصية عدد من السنين وثمة أسباب ثلاثة على الأقل تجعل لخبرة الأسرة هذه الأهمية القصوى.

والتأثير الحاسم فى تشكيل شخصية الطفل. فالأسرة تقدم للطفل خبرة الحياة المبكرة الأولى والمؤثرات الأولى تكون لها عادة دلالة خاصة. كما أن خبرات الأسرة تتكرر عدة مرات فى حياة الطفل وهذا التكرار فى حد ذاته يجعل للأسرة هذه الأهمية الكبيرة ولذلك فإن التفاعل الأسرى يتميز منذ البداية بالمظهر الوجدانى وهذا يضع العلاقات الأسرية المتبادلة فى منزلة خاصة متميزة ويصدق هذا بصفة خاصة فى حال العلاقات بين الأباء والأطفال والعلاقات بين الأخوة.

ولذلك سوف تستعرض الباحثة ما تساهم به الأسرة فى حياة الطفل وما تزوده به من خبرات خلال التفاعل الأسرى خاصة فيما يتعلق بحاجاته النفسية الاجتماعية وعملية النمو فيما يلى:

(١) تعتبر الحاجة إلى الاستجابة الودية والحميمة من أهم الأشياء التى تقدمها الأسرة لأعضائها فكل كائن إنسانى طبيعى وكذلك كل طفل عادى يحتاج إلى أن يكون مرغوبا فيه وأن يجد الفهم والتغيير والحب وهذه الرغبة يمكن إشباعها فى أفضل صورها فى جماعة الأسرة.

توفر الأسرة المواقف المختلفة لتنمية قدرات الطفل واستخدامها فى أنواع مختلفة من النشاط وعن طريق اختيار أدوات اللعب والألعاب والرفاق تهيئ الأسرة أول المواقف التى يمارس فيها الطفل نشاطه. وفى أول الأمر قد تدور هذه المواقف حول الطفل ذاته لتشجيعه وحثه بمفرده ثم تبدأ الأسرة بعد ذلك فى توفير مواقف التنافس والعمل مع الآخرين .

(٣) تعتبر الرغبة فى الحصول على موافقة النوع من الحاجات الإنسانية الأساسية وهنا تتمثل أهمية الأسرة فى أنها أول المشاهدين للتصرفات ويعتبر إبداء الموافقة أو منعها من العوامل القوية فى اختيار وتحديد الأهداف التى يركز عليها الطفل اهتمامه والتى ينمى حولها مهاراته.

(٤) يتلقى الطفل عن الأسرة أول دروس الحياة فى التعامل مع الآخرين والتوافق معهم وتعتبر الأسرة مجتمعا صغيرا يكتشف فيه الطفل تدريجيا أهمية تقدير واحترام وجود الأشخاص الآخرين والاعتراف بحاجاتهم وحقوقهم، وبالتدريج يرى أنه يتحتم عليه أن يضع قيودا على مطالبه فى وجود الآخرين والتوافق معهم. والتحول من مرحلة التركيز على الذات إلى المرحلة الاجتماعية يسير تدريجيا فى فترات وبدرجات متباينة بالنسبة للأطفال المختلفين.

(٥) تعتبر الأسرة ذات أهمية قصوى فى تحديد الاتجاهات الشخصية ومن بين الاتجاهات التى تقوم الأسرة بتشكيلها ما يتصل بتنمية اتجاهات الأعضاء نحو بعضهم البعض بالنسبة لطبيعة العلاقات الانفعالية الوثيقة ويتعين على كل عضو من أعضاء جماعة الأسرة أن ينمى اتجاهات نحو كل عضو أخر(الطفل نحو الطفل، والزوج نحو الزوجة، والأباء نحو الطفل، والطفل نحو الأباء) وبهذه الطريقة يكتسب الطفل أنماطه التى تتصل بعدد كبير متنوع من العلاقات الشخصية اللاحقة.

(محمود حسن- ١٩٧٧، ٢٣٩ :٢٤٤)

ولذلك فإن العالم سلفادور منوشن (Silvador Minuchin) وهو رائد فى علاج الأسرة قد اهتم بمساعدة الأسر لتستبصر وتفهم مشكلاتها حيث انه ينظر إلى مشكلات الأسر على أنها ناتجة من البناء الأسرى وتظل قائمة ببقائه ولا تحل المشكلات إلا بإعادة ترتيب بناء الأسرة وقد عرف منوشن كنة المدخل البنائى فقال أن المدخل البنائى للأسرة يفترض أن الأسرة أكثر من مجرد الديناميات النفسية لأفرادها وتسير الأسرة بدلا من ذلك على قواعد يفهمها كل أفراد الأسرة، والقواعد الراهنة تحدد كيف؟ ومتى؟ ولمن يستجيب كل فرد فى الأسرة ومجموع القواعد تمثل أنماط التفاعل وهو ما أسميته بناء الأسرة، وينظم البناء سلوك كل شخص وخبرته مع الواقع وبعد فترة فإننا نبقى بأنماطنا فى التفاعل وأنها فى هذه الحالة تمنع أنماطا أو طرزا أخرى من المواجهة مع الحياة والناس وقد يكون لدينا طرقا أخرى ممكنة للاستجابة ولكننا لا نستخدمها وقد صنف منوشن وزملائه الأسرة من حيث التماسك Choesion إلى أربع مستويات حيث يعتقد منوشن أن دراسة التماسك الأسرى أمر مهم لأنه يكشف إلى مدى تكون الأسرة ككل وكيان مقابل أن تكون أجزاء منها فقط هى التى تعانى من الأزمة. وعلى هذا يحدد

هــذا الكشف أسلوب توجية الخدمة العلاجية ويمكن أن تمتد المستويات الأربع على متصل يقع فى أحد أطرافه.

النمط الأول: ويتمثل فى الأسرة المتشابكة Enmeshed Family ويعنى هذا المصطلح ان الأســرة متشــابكة جدا، أى أن كل الأفعال والاتصالات من جانب واحد من أفرادها تقابل بأفعــال واســتجابات من الآخرين وعندما يلم بأحد منهم مكروه أو أزمة، فإن الكل يخبر هذه الأزمة ويسلك على نحو متعاطف مع الشخص المتأثر وبينما قد يشعر الأفراد داخل الأسرة من وقــت لأخــر أنهــم مــتحررون ، أو أنهم يريدون التحرر من أعباء وأحمال أعضاء الأسرة الآخريــن، فــإن هــؤلاء غــير قادرين على أن يفعلوا ذلك مادامت طبيعة الأسرة مثل خيط العنكبوت التى تمسك كل منهم إلى الآخر فى الشبكة .وفى الطرف الآخر المقابل يوجد. **والنمط الــثانى:** يتمــثل فى الأسرة المتباعدة Detached Family وفيها تكون الاتصالات قليلة بين أفــرادها. كــل يعــيش فــى عالمه الخاص وعندما يشعر أحد أفرادها بالتوتر أو الضغط فإن الآخرين ليسوا بالضرورة لهم علاقة بهذا الذى حدث أو يتأثرون به. ويكون بيت الأسرة مكانا مشــحونا بالــتوتر بالنسبة لأعضاء الأسرة والأم بصفة خاصة هى التى تخبر هذا النمط كنمط مولد للازمة والتوتر. وتشعر كما لو كانت مستغلة من أفراد الأسرة الآخرين وتشعر بالإحباط فــى طموحاتهــا الشخصية وحاجاتها ولديها صورة منخفضة لذاتها وقدراتها. بل انها قد تنمى أعراضا جسمية من هذه الأزمة على هيئة اضطرابات جسمية- نفسية .

وبالإضــافة إلــى هذين النمطين (المتشابك والمتباعد) فإن منوشن وضع نمطين آخرين يقعــان بيــن النمطين السابقين المتطرفين اللذين تحتلان أطراف **المتصل النمط الثالث:** الأسرة المرتــبطة Connected Family حيــث يكــون كل فرد منسجما ومتماشيا مع أفراد الأسرة الآخريــن ولكنه ليس محكوما بمشاعر وأفعال الآخرين وعلى الرغم من انه متعاطف ومنشغل ومتضــامن مــع الآخرين إلا انه ليس معتمدا عليهم فى حياته الانفعالية لأنهم متماسكون أكثر منهم متشابكين ومترابطون أكثر منهم معتمدين بعضهم على بعض ومهتمون بتأكيد صالح أفراد الأسرة الآخرين بدون أن يصبحوا متورطين.

والــنمط الــرابع: وهــو الأسرة المنفصلة Seperated Family وفى هذا النمط يكون لأعضــاء الأسرة اتصالات محددة بعضهم مع بعض ولكنهم بصفة عامة يسلكون كأفراد داخل الأســرة وليس كتجمع فإنهم منفصلون أكثر منهم متباعدين يقوم بينهم قدر من الاتصال الجيد أكثر مما يحدث بين أفراد الأسر المتباعدة.

وكما صنف منوشن الأسرة على بعد التماسك فإنه صنفها أيضا من حيث إمكانية التكيف أو التكيفية Adaptability أو القدرة على المواءمة ومواجهة التحديات والتغيرات المفاجئة والأنماط الأربعة كالآتى:

النمط الأول: وهو الأسرة المهوشة أو المشوشة(الفوضوى) Chaotic Family التى حينما تواجهها بعض عوامل التحدى فإن كل فرد من أفرادها يستجيب بشكل مخالف لما يستجيب به الأخر وبأساليب متناقضة لما يفعله الآخرون.

وعلى الطرف المقابل فى متصل التكيفية يوجد **النمط الثانى:** ويتمثل فى الأسرة التى تصدر عنها استجابات جامدة Rigid Responses وفيها يستجيب كل أفراد الأسرة على نفس النحو وهذه الأسرة لا يبدوا أنها تتأثر بما يحدث لها أو ما تواجهها من مشاكل وهناك نمطان متوسطان بين النمطين المتطرفين **النمط الثالث:** ويتمثل فى الأسرة التى يصدر عنها الاستجابة المرنةFlexible Response وفى هذا النمط تنظر الأسرة كاسرة في الموقف وتفحص الاختيارات وتحاول أن تصل إلى استراتيجية وإذا فشلت هذه الاستراتيجية فان الأسرة تعيد النظر في الموقف وتحاول الكشف عن بدائل وتنتهى إلى استراتيجية جديدة وتستمر هذه العملية حتى تنتهى الصعوبة أو تحل المشكلة وفي هذا النمط يسلك أفراد الأسرة ويتبنون وجهات النظر طبقا للظروف ولكنهم يفعلون ذلك بشكل جماعي.

والنمط الرابع والأخير من الأسر هي الأسرة التى يصدر عنها الاستجابة المقننة Standard Response وفي هذا النمط تضيق الأسرة من نطاق سلوكها وتعتمد أساليب السلوك المعروفة والمكررة وتواجه بها الموقف أو التحدي وتحدث استجابتها بالتتابع المعروف والتقليدي. **(علاء الدين كفافى ١٩٩٩، ٣٨٢ : ٣٨٦)**

(٧) التفاعل الأسرى بين الأهمية والخطورة

ولذلك نجد أن دراسات الطفولة قد أخذت تتجه اتجاها جديدا تنحو فيه منحى نفسيا اجتماعيا ينظر إلى الطفل على أساس أنه وجود إنسانى حى وهذا يتطلب أيضا أن تسهم مجموعة من المختصين فى علوم التربية والنفس والاجتماع فى دراسة الطفل وتحليل سلوكه ولقد كان لهذا الاتجاه الجديد الهام خطورته وأهميته خاصة بعدما ثبت أن الدعامات الرئيسية للشخصية تقام فى السنوات الأولى من حياة الطفل وأنها تقوم أساسا على فكرة التفاعل العائلى الذى يتم داخل الأسرة ويلعب دورا هاما فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه.ويعرف **مصطفى فهمى** التفاعل العائلى : بأنه مجموعة العلاقات التى تتكون بين أعضاء الأسرة والتى يترتب عليها أن يؤثر كل فرد فى الأخر وذلك بقصد تكوين خبرات جديدة.

والواقع أن هذا التفاعل العائلى ليس إلا ناحية واحدة من مجالات التفاعل الاجتماعى التى علـــى الفـــرد أن يسهم فيها خلال حياته ولكن إسهاما من هذا النوع يعد الأخطر بل الأشد قوة وتأثـــيرا فـــى حـــياته مـــن حيـــث أنه ولابد أن يقوم على أساس من المودة والإخاء والحرية والصراحة مع الدوام والاستمرار، والتى أيضا من الصفات القوية التى لا ترى بوضوح وقوة فـــى أيـــة علاقات اجتماعية أخرى، ونتيجة لمجموعة العلاقات التى تحدث فى الأسرة بين الطفل وبين والديه وأخوته يتعلم هذا الطفل ويمارس كيف يعيش وكيف ينمو ونتيجة لذلك أيضا تتكون شخصيته وعاداته واتجاهاته وكذا قيمه.

ولذلـــك يمكن معرفة أهمية التفاعل العائلى وخطورته فى حياة الطفل وذلك عن طريق معرفة :

- علاقة الطفل بأمه وأهميتها فى حياته وفى تكوين شخصيته.
- علاقة الطفل بأبيه وأهميتها فى حياته وفى تكوين شخصيته.
- نوع العلاقات بين الوالدين وأثرها على النمو النفسى.

أولا: علاقة الطفل بأمه وأهميتها فى حياته

اهتمـــت الدراســـات المختلفة التى تناولت حياة الطفل ونموه بدراسة علاقة الطفل بأمه خـــلال مراحل نموه وأثر هذه العلاقة فى نموه النفسى ذلك أن الدور الذى تلعبه الأم فى حياة الطفل دور كبير وهام وحيوى وعلى قوة هذا الدور وإيجابيته يتحدد الكثير من اتجاهات الطفل إزاء الحـــياة وسلوكه فيها ويتوقف عليه وإلى حد كبير مدى تكيف هذا الطفل أو انعدام تكيفه. والواقـــع أن هـــذه العلاقة أو دورها الكبير الذى تلعبه فى تعليم الصغير وتربيته قد زخرت به الكتب المختلفة فى علم النفس والتربية ومن المعروف أيضا أن خبرات الطفل الأولى مع أمه هى التى تحدد علاقته بباقى أفراد أسرته وعلاقته الاجتماعية خارج الأسرة.

(محمد على حسن- ١٩٧٠، ١٥٢: ١٥٣)

ولذلـــك فإن حرمان الطفل فى الفترة الأولى من رعاية الأم وعنايتها يكون له آثار سيئة وسلبية فى تكوين شخصيته مما يفقده الثقة بنفسه فى المستقبل وبالآخرين.

ولذلك نجد أن الأم تستطيع أن تقوم بدور هام فى إذكاء عملية التطبيع الاجتماعى حيث يمكـــن القول أن الطفل الذى لم ينل دفئا وحبا مناسبين فى هذه الفترة يفشل فى تنمية الإحساس بالثقة ونتيجة لذلك قد يظل باستمرار سيئ التوافق فى علاقاته الاجتماعية بالمحيطين.

(فيوليت فؤاد ابراهيم- ١٩٨٦، ٥٦)

obeikandl.com

ولذلك نجد أن خطورة الحرمان من الأم له نتائج وأثار سيئة على الأطفال: تعطيل النمو الجسمى والذهنى والاجتماعى. اضطراب النمو النفسى واضطراب تكوين الأنا والأنا الأعلى حيث أن هذا الاضطراب ينعكس على تكوين شخصية الطفل ويعرضه للإنحراف والاضطرابات السلوكية.

ومن أثار الحرمان من عطف الأم والانفصال عنها كما يشير **شازال** أن هؤلاء الصغار المحرومين من رعاية الأم ولم يستشعروا حرارة الاتحاد العميق معها يعانون محنهم الاجتماعية الأولى. وتبدو هذه المحن فيما بعد فى استجابات من العدوانية والمعارضة وفى ظمأ شديد إلى النعيم وفى حاجة شديدة طاغية إلى السيطرة وهنا تبرز معالم الطريقة إلى الجناح.

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض العلماء يرون أن عدم كفاية العطف والحب وحرمان الطفل منهما يؤدى إلى وجود حالة عدم استقرار وقلق لدى الطفل تدفعه باستمرار إلى ارتكاب الجريمة وإن كانت الظروف الخاصة بالطفل المحروم من عطف الأم تجعله أكثر استعدادا لارتكاب الجريمة التى تمت على يديه. **(محمد على حسن- ١٩٧٠، ١٥٨ : ١٦٢)**

ثانيا: علاقة الطفل بأبيه وأهميته فى حياته

يجب أن ندرك أنه فى إطار التفاعل الاجتماعى بين الأباء والأبناء يعنى مفهوم التفاعل التأثير والتأثير المتبادل بين طرفى التفاعل، وإن كل طرف من طرفى العلاقة يؤثر فى الأخر ويتأثر به ولذلك نؤكد على تأثير الأباء على الأبناء على صيغة التفاعل كإطار ينضوى فيه هذا التأثير وتأكيدنا على هذا مبعثه أن بعض الباحثين الذين قاموا بدراسة العلاقة بين الأباء وأبنائهم لكنى يتبينوا أفضل أسلوب يمكن استخدامه مع الأبناء لم يظهروا اهتماما واضحا بتأثير الأبناء على الأباء هذا على الرغم من الأباء يتأثرون بأبنائهم مثلما يتأثر أبناؤهم بهم، بل وبإمكاننا أن نقرر أن الطريقة التى يتبعها الأباء مع الأبناء محددة فى جزء منها بخبراتهم الخاصة ومحددة فى جزء أخر، وأحد الأمثلة الموضحة لهذه الحقيقة هو أن الأباء الذين يتبعون صيغة العقاب كأسلوب لتنشئة أبنائهم يتبعون هذه الصيغة تحت وطأة تصور معين لما يجب أن يكون عليه أسلوب التعامل مع الأبناء وهذا جانب كما يساعد الأبناء أنفسهم على تدعيم هذا الأسلوب لدى الأباء إذا كان الأبناء مفرطى لنشاط ويحتاجون إلى ضبط غير عادى لكى يقوم سلوكهم. وهذا جانب أخر وهناك أمثلة أخرى عديدة فالطفل المبتسم يستجلب اهتمام أبويه، ومن ثم يستجلب منهما أيضا انتهاجا لصفة السماحة والطفل دائم الصراخ والحركة يبعث فى والديه أسلوب القهر والزجر. ولذلك نجد أن الطفل ليس سلبيا تماما عند تفاعله مع أبويه فكما يؤثر الأبوان فيه يؤثر هو أيضا فيهما. فالتفاعل ليس فى اتجاه واحد ولكن فى اتجاهين.

(محيى الدين أحمد حسين- ١٩٨٧، ٤٠)

ولذلـك نجد أن الأب إذا كان يمثل السلطة فى المنزل فإن الأبوة المستنيرة تدرك إدراكا حقيقـيا أن هـذه السلطة لا تعنى الحرمان أو القسوة أو القمع لكل رغبات ونزعات الطفل بل تعـنى بدرجة كبيرة التنظيم والتوجيه الذى يحتاجه كل طفل ويساعده بشكل كبير على الإدراك الحقيقى لذاته والتفهم الكبير لإمكانياتها وقدراتها، وقد يقتضى النظام من الأب فى بعض أحيان أن يقـف مـن الطفل موقفا فيه حزم أو حد من نشاطه وحرياته، ولكن الأمر الهام الذى يجب التنـبه إلـيه هو عدم استمرار هذا الموقف لمة طويلة بحيث يصبح صورة دائمة، ويتخذ صفة الاسـتمرار وإلا فإنـه يتحول إلى نوع من التضييق، والقسوة المفروضة من الأب على الابن حتى ينتهى باضطراب شخصية هذا الطفل، وشعوره بالاختناق والرغبة فى الفرار والهرب من هذا الأسلوب الكريه بالنسبة إليه والذى لن يؤدى إلا إلى انحراف هذا الطفل فى النهاية.

(محمد على حسن- ١٩٧٠، ١٦٥: ١٦٦)

ثالثا: العلاقة بين الأبوين وأثرهما على الطفل

يؤثـر سلوك كل من الأبوين تجاه الأخر على صحة الطفل العقلية. فقد أثبتت الأبحاث الـتى أجريت فى هذا المجال أن معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل مفككة ومنازل تكثر فـيها الاحـتكاكات بين الزوجين أكثر مما يأتون من منازل تتوافر فيها علاقات سليمة فحيثما يكـون حائـرا بيـن خضوعه للأب أو خضوعه للأم وفى بعض الأحيان يتعلم الطفل أن يستخدم أحد الأبوين ضد الأخر أو أن يستخدم أحد الأبوين الطفل بنفس الطريقة أو قد يهمل كلا الأبويـن الطفـل مما يجعله يعتقد أنه غير محبوب أو عديم القيمة وهو سلوك يهدد أمن الطفل ويتركه فريسة للشك والوحدة مما قد يؤدى به إلى الاضطرابات السلوكية المتنوعة. وقد تختلف فـى الشـدة من مجرد صورة الغضب لجذب الانتباه كالسرقة أو التخلف الدراسى أو السلوك العدوانى أو الخروج عن السلطة وتعديها إلى غير ذلك.

وقد يقال أن حياة الأسرة لا يمكن أن تخلو من الاحتكاكات بين الزوجين والتى تمر بين الحين والحين ولكن هذه الخلافات لا تعتبر ذات خطورة أو عامل هدم وتدمير فى حياة الأسرة مادامـت لا تمـس ولا تصيب دعائم التوافق الأسرى حيث أن هذه الخلافات لا تتناول جوهر الـروابط والعلاقـات الزوجية بين الوالدين أو ربما لأنها أحيانا تتناول أموراً سطحية فى حياة الأسرة.

أمـا الخلافات العنيفة الهدامة التى تصيب صرح الأسرة وتهدم القيم والمعايير والأسس الـتى وضعها الوالدان فى حياتهما معاً، وكأسلوب لتربية أطفالهما فتلك هى التى تحطم الكيان الأسـرى والـتوازن العاطفى فى الأسرة ثم أن أخطر ما فى هذه الخلافات هو مدى انعكاسها

وانعكاس أثارها على حياة الأبناء فى الأسرة ومدى اضطرابهم وفقدهم للجو النفسى السليم الذى ينمو فيه ولذلك ففى كثير من الأحيان لا يعتبر من الخير فى شئ استمرار الحياة الزوجية مع وجود حالة من التوتر العنيفة بين الزوجين بل ربما يعتبر الطلاق فى مثل هذه الحالة وأن كان أمرا غير مرغوب فيه له أضراره الخطيرة على الأسرة أمراً ضروريا لصالح الزوجين وصالح الأبناء أيضا حيث أن استمرار الحياة الزوجية المضطربة يترك أثاره الخطيرة على الأطفال. (أنور محمد الشرقاوى- ١٩٨٦، ١٧٨ : ١٧٩)

ولذلك نجد أن الأسرة تستمد أهميتها وخطورتها من أنها البيئة الاجتماعية الأولى بل الوحيدة التى تستقبل الإنسان منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته وتشكل قدراته المختلفة واستعداداته المتباينة وأيضا تعاصر انتقاله من مرحلة إلى أخرى، بل بالكاد يوجد نظام اجتماعى أخر يحدد مصير الجنس البشرى كله كما تحدده الأسرة ففيها يتم التشكيل الأساسى لشخصية الفرد وفيها أيضا يمارس الفرد أولى علاقاته الإنسانية فهى بذلك المجتمع الإنسانى الأول الذى يعيش فيه الفرد. وبذلك كانت المدرسة الأولى التى تؤثر فيه وكان لأنماط سلوكه التى يتعلمها فى محيطها قيمة كبيرة فى جياته المستقبلية فإن قدر للفرد أن ينشأ فى أسرة صالحة فإن نموه يأخذ طريقه فى يسر وسهولة وينتقل من مرحلة إلى أخرى مكتسبا ما يحتاجه من ثقة بنفسه ومن خبرة ومهارته فى شتى أنواع النشاط الإنسانى أما إذا قدر له أن تحتضنه أسرة غير صالحة فإن نموه يضطرب بل قد يتوقف فى ناحية أو أخرى.

(محمد على حسن- ١٩٧٠، ١٤٠: ١٤١)

(٨) نماذج من الأسرة ودورها فى نشأة الانحراف:

تعتبر الأسرة هى الخلية الأولى والأساسية التى ينمو فيها الحدث وفى ظلها وخلال السنين الأولى من طفولته تتحدد وتتكون شخصيته لذلك كان من الواجب دائما القضاء على كافة المعوقات التى تحطم الصفاء داخلها.

فالحدث قد يتربى فى كنف أسرة يسودها الفساد والاضطراب بين أفرادها سواء فى علاقتهم ببعضهم البعض أو مع الآخرين وفى كلتا الحالتين يتأثر الحدث بجو الأسرة وبتقاليدها وعاداتها وسلوكها ويتأثر بشكل خاص بمن هم أكبر منه سنا سواء كان الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت فالأسرة الصالحة علاج ناجح للميل الموروث إلى السواء أما الأسرة الفاسدة فهى تربة صالحة لنمو هذا الميل فمن الطبيعى بصفة عامة أن الأطفال الأسوياء لا يأتون فى العادة إلا من آباء أسوياء.

كمـــا أن الأب المنحرف والأم المنحرفة يلعبان الدور الرئيسى فى انحراف أبنائهما لأنه يشب فى جو من الشقاق والعصبية وفى بيئة ينقصها الأمن والإشباع العاطفى.

(على محمد جعفر – ١٩٨٤، ٦٧)

ولذلـــك فإن استعراض عدة نماذج من الأسر التى قد تعيش وضعيات داخلية أو بيئية أو كلـــيهما معـــا تؤدى إلى الانحراف وقد يكون الانحراف من خصائص المحيط البارزة أو من خصـــائص الأسرة عموما وقد لا يظهر إلا عند بعض الأبناء مع تكيف متفاوت فى شدته عند الآخرين وقد يتخذ سوء التكيف طابعا نشطا عدوانيا أو على العكس يظهر وكأنه قدر مفروض تـــرزح الأســـرة تحته. وقد تبدو الأسرة مغلوبة فعلا على أمرها إزاء ظروف قاهرة لا بد أن تسحق من يتعرض لها أو هى تنخرط فى النشاط الجانح كأسلوب أساسى لكسب العيش.

وهـــناك أسر تعانى من أشد درجات العوز لكل مقومات الحياة وأخرى تحصل على ما يكفـــيها مـــن مال أو ما يزيد عن حاجتها وفى الحالة الأولى نلاحظ ظاهرة تسيب وعجز عن رعاية الأطفال أما فى الحالة الثانية اتجاه عدائى ضد المجتمع وهناك أسر وراءها تاريخ طويل من الاضطراب يتفاقم صعدا من الأهل إلى الأبناء.

وأســـر متماسكة زواجيا وعلائقيا ولكنها تتصف بالركاكة والعجز عن مجابهة تحديات الحـــياة وتـــنهار قدرتها على المقاومة بعد فترة تطول أو تقصر ويقرب منها أسرا أخرى أكثر تماسكا وأشد قدرة على المقاومة. إنما تتميز بالبدائية المفرطة والبؤس الثقافى. تفتقر إلى أبسط أســـس تربية الأطفال وتطلب العون من الهيئات الاجتماعية المختلفة كى تمارس معها التربوية نـــيابة عـــنها، تشـــترك هـــذه الأســـر جميعا رغم تنوع أوضاعها من الناحية الوصفية **بعض الخصائص العامة التى تفرز الانحراف أهمها ما يلى:**

أ- الغربة أو العزلة المتفاوتة فى شدتها عن العالم الاجتماعى المتكيف وقد تكون العزلة مادية بمعنى أنها تقيم فى إحياء هامشية وتقوم بنشاطات هامشية أيضا أو معنوية وعلائقية بمعنى عـــدم الالـــتزام بالمعايير الاجتماعية الأساسية التى توجه التفاعل بين الناس وتحكم عملية الإنغراس الاجتماعى. فالعلاقة مع المجتمع والمتكيف فى الحالتين تتميز بالتجاذب الوجدانى بالشـــك والحذر والعداء من جانب والخوف من الدونية من جانب آخر ليس هناك علاقات تضامن بل علاقات تجنب وتهرب أو علاقات استغاثة واستنجاد ورضوخ ولذلك فإن الأبناء ينشـــئون تحت شعار هذه الغربة ويرزحون تحت وطأة الوصمة الاجتماعية أو ضد قانون المدينة وهم يفتقرون فى الحالتين إلى شروط الانغماس الاجتماعى السليم.

ب-أيضـــا هـــناك اختلال فى تنشئة الأطفال وعملية التدامج الاجتماعى فالطفل منذ صغره قد يتعرض لأوضاع لا تسمح له بأن يتمثل معايير ونماذج التكيف الحياتى حيث أنه لا يُحظى

بالـرعاية الكافـية أو الصـحيحة حيث يتراوح الأمر ما بين العجز عن الرعاية والإهمال المقصـود أو غـير المقصود والنبذ والقسوة ويصل أيضا أحيانا حد الاستغلال المباشر فى نشـاطات جانحة وغير جانحة. فالالتزام الوالدى تجاه الأبناء من حيث تعهدهم على مختلف الأصـعدة بشـكل يضمن النمو المعافى نفسيا واجتماعيا وجسديا يتصف بالاختلال. فالطفل الذى لا يتمتع بالدلالة الإيجابية والمكانة اللازمة فإنه يعتبر عبء أو أداة أو حدث عارض يستقبل باستهتار. ولذلك فمن النادر أن يكتسب دلالة تعرفه وتفرضه اجتماعيا بشكل فعال.

جـ- اضـطراب صورة الأب من الأمور الأساسية التى تميز هذه الأسر حيث أنه يمكن أن يكـون عاجزا ذى حضور هزيل أو منبوذ من الأسرة أو هو على العكس قاس عنيف يمثل الرعـب والبطش والتهديد للأم والأبناء وقد يكون نابذا للزوجة والأبناء يتجاهلهم ويتخلى عن مسئولياته تجاههم منصرفا إلى ملذاته الخاصة.

(مصطفى حجازى – ١٩٨١، ٣٧٦: ٣٧٧)

د- وهـناك أيضـا الأمهات المفسدات والأمهات المسيطرات والأمهات الممتلكات والمدفقات اللواتـى يعنيـن بأطفالهم عناية زائدة كذلك توجد الأمهات ذوات الشخصية السيكوبائية أو اللواتـى يعانين من الذهان أو المصابات بالهوس والاكتئاب اللواتى يؤدى عدم استقرارهن النفسـى إلى حالة من عدم الأمان والقلق عند الطفل وهذا النوع من العلاقات لا يهيئ النمو الوجدانـى السـوى الـلازم للطفل ولا يمنحه الصورة التى تساعده على التكيف المتناسق مـع العـالم الخارجى فالكثير من عادات الطفل وسلوكه نجد مصدرها داخل الأسرة نفسها والأنانـية والمعارضـة والخروج على النظام والنزعات العدوانية ليست فى الحقيقة سوى وسائل دفاعية يتخذها الطفل فى مواجهة الوسط البيئى غير الملائم.

(أنور محمد الشرقاوى – ١٩٨٦، ١٨٤)

ثانيا : متغيرات الشخصية

الشخصيـة

(١) مفهوم الشخصية:

يتمـيز المجـتمع الحديـث بأنه دائم التغير . ومن هنا كان على الفرد الذى يتفاعل مع الظـروف المتغيرة فى البيئة أن يتعلم كيف يستجيب لهذه الظروف ويواجهها بطريقة تحقق له التكـيف الشخصـى والاجتماعى السليم ومن ناحية أخرى فإن السلوك السكانى يرتبط ارتباطا وثيقا مع الظروف الداخلية والخارجية التى يتعرض لها الفرد . وعلى ذلك فإننا لا نستطيع أن نفهـم السـلوك البشرى ببساطة بمجرد دراسة الظروف الخارجية التى يتعرض لها الفرد . إذ يرتـبط سـلوكه أيضـا بـالخواص والمميزات والاستعدادات الداخلية للفرد ويمكن القول بأن

الاستعدادات الطبيعية التى يحملها كل فرد لها أثر كبير فى تحديد نمط سلوكه. ولذلك نرى أن الشخصـــية مصطلح مجرد يركز علىأنماط السلوك المميزة التى يتصرف بها الشخص بالنسبة لمواقـــف الحياة المختلفة ولذلك فإن الشخصية السوية تركز على طرق التصرف التى يتصرف بها الأفراد ليصبحوا سعداء وأصحاء. أما بالنسبة لشكل الشخصية السوية وجد أنه من الصعب وصف الشخصية السوية حيث لا نستطيع وصف الشخصية ككل . ولذلك سوف يتم استعراض أوصافا مختصرة للشخصية السوية .

أولا : قـــدم مـــازلـــو نظـــرية فى الدوافع الإنسانية تفترض أن الحاجات تنتظم فى تدرج من الأهمية أو القوة فعندما تشبع الحاجات ذات القوة الكبرى أو الأولوية فإن الحاجات التالية فـــى الـــتدرج الهـــرمى تبرز وتلح فى طلب الإشباع هى الأخرى وعندما تشبع نكون قد صعدنا خطوة أخرى على سلم الدوافع . ونظام التدرج الهرمى للحاجات من أكثرها قوة إلى أقلها قوة هو كما يلى :

الحاجـــات البيولوجـــية كالجوع والعطش ، وحاجات الأمن ثم الحاجة إلى الانتماء والحـــب وحاجات الاعتراف والتقدير وحاجات تقدير الذات ثم الحاجات المعرفية وأخيرا الحاجـــات الجمالـــية كالرغـــبة فى الجمال ويلاحظ أن هذا التدرج الهرمى لا مكان فيه للحاجات المعادية للمجتمع والمحدثة للأذى . وأن الإنسان يمكن أن يصبح معاديا للمجتمع فقط عندما ينكر عليه المجتمع إشباع حاجاته .

ثانـــيا : أن الفـــرد عـــندما يعبر عن شخصية صحية سوية يكون قادر على إشباع حاجاته عن طـــريق السلوك الذى يتفق مع كل من معايير المجتمع ومطالب غيره . ولذلك وجد أنه لا يوجد تعريف معين للشخصية السوية ولكن هناك ما يوضح أن هذا الفرد شخصيته سوية أم لا وهى :

أن الفـــرد عـــندما يشعر بالإشباع فإن هذا الإشباع يؤدى إلى حالة إنفعالية تعرف بالســـعادة أو الاكـــتفاء. وتتفق معظم المراجع العلمية السلوكية على أنه بدون الإشباع لن تكـــون هناك شخصية صحية أو سوية والشخص الذى يبدى عدم رضاء مستمرا لا يمكن أن يعتبر شخصية سوية.

أن الفـــرد لابد أن يجد إشباعا بطريقة معينة. فهو لا يستطيع أن يتصرف عشوائيا ليؤمـــن إشـــباعاته. فلابـــد أن يتصرف بوسائل وطرق تدخل فى إطار القانون والتقاليد والأخـــلاق السائدة فى مجتمعه. كما أن الشخصية السوية تعنى أن الضمير والأخلاقيات

والقـيم الـتى اكتسبها الشخص من خلال عملية التطبيع الاجتماعى يجب أن ينظر إليه بعين الاعتبار أثناء البحث عن الإشباع.

ثالـثا: يـرى بعض علماء النفس – منهم **مازلو وفروم** – أن بعض الحاجات عالمية أو مستقلة عـن الثقافة وأنه يجب على بنى الإنسان أن تكون لديهم إشباعات معينة ماداموا إنسانيين وألا يعملوا على مستوى الفعل المنعكس أو الغريزة وإلا فإنهم يتجردون من الإنسانية أو يصبحوا غير أسوياء. **(سيد عبد الحميد مرسى – ١٩٨٥ ، ١٠، ١٧، ١٨)**

(٢) دور الأسرة فى تكوين الشخصية

حيث يؤكد معظم علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل الإطار الاجتماعى والـثقافى الـذى يعـيش فـيه ويتفاعل معه فالمعروف أن الفرد يولد مزودا بأنواع شتى من الاسـتعدادات الجسـمية والعصـبية والنفسية ، تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته الماديـة والاجتماعـية والثقافـية على أن أهم هذه المؤثرات المختلفة هى التى تأتيه من تلك الجماعة الصغيرة التى تحيط به وترعاه فى سنواته الأولى خاصة . وهى الأسرة فهى كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ديناميكية لها وظيفة تهدف نحو نمو الطفل نموا اجتماعيا ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلى الذى يحدث داخل الأسرة والذى يلعب دورا هاما فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه. **(مصطفى فهمى –١٩٦٦، ٤١)**

ولذلـك نلاحـظ أن أصحاب النظريات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية للطفل قد اقترحوا ميكانزمين سلوكيين أساسيين وفى كلا الأمرين يعتبروا والدي الطفل عاملين أوليين طالما أنهما الشخصـان الكبـيران الرئيسـيان اللذان يتصلا بالطفل فى المراحل الأولى الحاسمة من نمو شخصـيته. حيث نجد أن بعض الأسر قد تستخدم بعض الميكانزمات الخاصة مثل مبدأ التعليم بالتدعيم والثانى عن طريق التوحد. حيث نجد أن هذا المبدأ يقرر أن تعلم أى شىء يؤدى بشكل مباشـر إلى خفض التوتر أو الألم أو إلى حدوث الإشباع، ولذلك نجد أن الطفل يكتسب أنماط وقـيم سلوك الأباء والراشدين الآخرين ممن لهم أهمية لأن هؤلاء الكبار يلجئون باستمرار إلى استخدام الثواب والعقاب فى تشكيل سلوك واتجاهات أبنائهم ، ولكن قد يكون هناك قصور فى مبدأ التدعيم حيث تأتى النتائج متعارضة مع ما هو متوقع فمثلا تتضمن مبادىء التعلم بالتدعيم أن الأبـاء الذين يعاقبون الطفل بقوة وباستمرار على أفعاله يدعم باستمرار سلبيا على عدوانه وإيجابيـته عـند كبته مع ذلك فقد لوحظ أن الجانحين والمجرمين يحتمل أن يكون آباؤهم من النوع النابذ القاسى بدنيا وأنهم قد خضعوا لكثير من ألوان العقاب فى طفولتهم فالعقاب وحده لم يطفـىء عدوانهم وانحرافهم بل العكس هو الصحيح تماما . ولقد افترض **شلدون Sheldon** والـسيانور جلـيوك **Eleanor Glueck** (١٩٥٠) أن الجانحين لم يتأثروا بالعقاب لأنهم قد

مـــروا بخـــبرات عقابية كثيرة جدا من آبائهم لهم ولقد أمدتنا الدراسات التفصيلية الحديثة عن خلفـــيات أسر الجانحين والتى قام بها **وليم William و جون ماكورد Joan Macord** (١٩٥٦ ، ١٩٥٨) بأدلـــة أخرى تشير إلى أن الجانح الشديد العدوان كان من المنبوذ بقوة من والديـــه كمـــا كان يضرب بوحشية أحيانا كثيرة فهذا الاحتفاظ بنمط العصيان المتسم بالعدوان لدى أمثال هؤلاء الأولاد رغم العقاب المتكرر والقاسى يحول دون التطبيق لمبدأ التعلم بالتدعيم وأما عن طريق المبدأ الثانى وهو التوحد أى تقليد شخص فى قيمة فى سلوكه وفى اتجاهاته . فقـــد لخص عالم النفس الاجتماعى **روجر برازن** الخاصة المعقدة للميكانزمات التى تكمن وراء التنشـــئة الاجتماعـــية وقـــال أنه يمكن للأباء التأثير على سلوك وتصرفات الأبناء على الأقل بطريقتيـــن : بالثواب والعقاب المباشرين. وبتقديم نماذج للتقليد . ولذلك يبدو الأن كما لو كانت القوة هى العامل الأول فى جعل النموذج شيئا جذابا يبعث على التقليد رغم وجود أبوين يمثلان القـــوة يمـــنحان الثواب والعقاب . فمن الممكن أن نجد أنواعا عديدة من أنماط الأسرة وأنواعا متعددة كذلك من مشكلات التعلم التى تعرض للأطفال.

(ريتشارد سن ، لازاروس – ١٩٨١-١٩٩، ٢٠١، ٢٠٥)

ولذلك لكى تتم عملية التنشئة وينمو الطفل فى جو صحيح فإنه يجب أن تتوافر الأمور الأتية:

(١) أن يشـــعر الطفـــل أنـــه مرغوب فيه محبوب، وتحقيق هذه الحاجات النفسية عن طريق الوالديـــن والأخوة يعتبر الدعامة الأولى لتقوية الروابط الوجدانية بين الأطفال وذويهم، وأن طفـــلا يترعرع فى جو من الخوف أو الكراهية أو الإحساس بالإثم خليق أن تنتابه نزعات عدوانية.

(٢) تعتـــبر الأسرة المسرح الأول الذى ينمى فيه الطفل قدراته ويكون ذلك عن طريق اللعب ومشـــاركة رفاقـــه فى لهوهم ومسراتهم وخبراتهم ولاشك أن للتشجيع والمنافسة المشروعة أثرها فى نمو هذه القدرات وتطورها، ويحسن ألا تصدم الطفل بأمور لا يفهمها أو يصعب علـــيه القـــيام بها حتى لا يدب اليأس إلى نفسه. والطفل فى السنوات الأولى يميل إلى أن تشـــعره بذاتيته وبأنه فرد يستطيع أن يقوم بأعمال ولذلك نراه كثيرا ما يلفت نظر من حوله ليشـــاهدوا مـــا يقـــوم بـــه مـــن أعمال ويحسن إذ ذاك أن نعلق على هذه الأعمال بكلمات الاستحســـان والتشـــجيع فالطفل إذ يقوم بنشاط معين إنما يريد أن يشبع حاجة من حاجاته النفسية وأعنى بها الحاجة إلى التقدير.

(٣) يستطيع الطفل فى محيط الأسرة أن يتعلم كيف لا يكون أنانيا بمعنى أنه يتعلم كيف يحترم حقوق الغير ، كيف يتلاءم مع غيره من أفراد الأسرة من والدين وإخوة وأقارب وخدم.

(٤) يتعلم الطفل فى الأسرة المبادىء الأولى التى يسير عليها فى التعامل مع الغير ويكون ذلك عن طريق ملاحظته لسلوكهم واستجاباتهم فى المواقف المختلفة .

(٥) يكـــون بعـــض الأطفال فى هذه السن المبكرة بعض الاتجاهات بطريقة لا شعورية، وهى ناتجـــة أساسا من أسلوب التربية الخاطىء الذين يعاملون به ومن هذه الاتجاهات ما يتكون نحـــو الوالدين، إن الوالد فى نظر بعض الأطفال إنما هو رمز للسلطة ويقول فى ذلك أحد علمـــاء الـــنفس وإن هذه الاتجاهات التى يكونها الأطفال فى صغرهم وما يصاحبها من شـــعور بالكراهـــية توجه فى المستقبل نحو المجتمع بصفة عامة. كما أن الكثير من جرائم الأحداث يرجع فى أصله إلى كراهية الأطفال للسلطة.

(٦) ويكتســـب الطفـــل نتيجة تفاعله وخبراته فى الأسرة مجموعة من العادات. عادات خاصة بالمـــأكل والملـــبس والطعام وطريقة المشى والكلام والجلوس والاستحمام والنوم ومخاطبة الناس .. إلخ.

(٧) وللأسرة وظيفة أخرى فعن طريقها يتعلم الطفل الكثير من العقائد والمخاوف والأفكار التى تدل على التسامح أو التعصب. وفى هذا يقرر بعض علماء النفس أن الاتجاهات الوالدية هى نـــتاج للمؤثـــرات الثقافـــية الســـائدة فى المجتمع. فالأباء هم المصدر المباشر للمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك الاجتماعى عن طريق ما يغرسونه منها فى النشء إنهم الأساس الـــتربوى للمجـــتمع ومـــا تقـــوم بـــه المدرسة ودور العبادة وزملاء اللعب وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية إنما هو تأكيد دور الأسرة وبلورته.

ولذلـــك نجد أن الشخصية لا تتكون وتنمو إلا نتيجة لتفاعل التكوين البيولوجى للفرد مع العوامـــل البيئـــية ، الاجتماعـــية والثقافية خاصة .. حتى لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن يقـــرروا أن الشخصية هى طبيعة الفرد بعد أن يحورها التفاعل الاجتماعى وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة فى ميدان علم النفس الاجتماعى والأنثروبولوجيا أن الوعى بالذات لا يظهر إلا عند الفرد الذى يعيش فى مجتمع حيث يتوافر مبدأ الأخذ والعطاء وبين غيره من أبناء المجتمع فالشخصية أو الذات إن شئنا هى عملية متطورة نامية وليست شيئا جاهزا ، فطريا عند الفرد. كمـــا أنهـــا ليست شيئا غيبيا يعمل داخل الفرد أو خارجه ، وإنما هى صفات متكاملة تنمو من الخبرة الاجتماعية والنشاط الاجتماعى الذى يتضمن علاقة الفرد بالأفراد الآخرين .

ولذلك نجد أن أبحاث علماء النفس الاجتماعى يؤكدون على العلاقة الوثيقة بين التركيب الاجـــتماعى ونمـــاذج الشخصية وما يظهر بين الأفراد من اختلاف نتيجة انتمائهم إلى طبقات اجتماعـــية مخـــتلفة. بل لقد وجد هؤلاء العلماء أن النظام الطبقى بما فيه من حوافز معلقة إنما يؤثر على شخصيات الأفراد وتكوينهم كما يؤثر أيضا على أدائهم فى المجتمع.

(مصطفى فهمى – ١٩٦٦ ، ٤١: ٤٩)

(١) السواء واللاسواء فى نظرية الذات :

السـوية فى مفهوم الذات هى كلمة تعنى التطابق حيث أن سوية الفرد تتحقق إذا حدث تطـابق بين أبعاد مفهوم الذات الثلاث وهى الذات المدركة والذات الاجتماعية والذات المثالية وكذلـك تـتحقق سوية الفرد إذا لم يوجد فى داخله أو فى مستويات ذاته ما يهدد كيانه وإذا لم يحـدث تعارض بين مجالات مفهوم ذاته وتكاملت فيما بينها بصورة تجعله يحقق ذاته وأيضا الاطـراد فى نمو ذاته بصورة تجعله يحقق إمكاناته باستمرار . وعلى النقيض من هذا أن يوصـف الفـرد بأنه غير سوى إذا حدث تعارض بين أبعاد مفهوم الذات الثلاثة . فإنه إذا لم يحـدث اتفاق بينه فى فكرته عن نفسه وفكرة الآخرين عنه فيحس بالتعالى والدونية أو يحدث تعـالى بيـن ذاته المدركة وبين وذاته المثالية فيكون مستوى طموحه أعلى من مستوى قدراته فيفشل فى تحقيق ذاته أو يكون مستوى طموحه أدنى من مستوى قدراته فيسيىء تقدير ذاته.

وإذا وجـدت فى داخله مستويات مفهوم ذاته خبرات قد تهدد كيانه أو مخجلة أو مشينة بصـورة تجعلـه يشعر بالذنب أو يلجأ إلى الحيل الدفاعية فلا تحدث مصالحة بينه وبين نفسه ويلجـأ إلى العدوان نحو نفسه ونحو الآخرين أو إذا لم يحدث تنسيق بين مجالات تحقيق ذاته فـيحدث تعارض بين ذاته الجسمية كوجود عاهة وذاته المهنية والاجتماعية فيفشل فى حياته . أو إذا وجدت فى المجال قوى مضادة لا يستطيع التغلب عليها فلا يؤدى دوره كما يرجو لنفسه.

فانتقاء التعارض بين أبعاد مفهوم الذات، ووضوح فكرة أو مفهوم الفرد عن ذاته والتقاء هـذه الأبعـاد فى نقطة واحدة هو جوهر السوية فى نظرية مفهوم الذات مادام الفرد خاليا من الخـبرات المهددة فى الماضى وهناك تصالح بينه وبين نفسه فى الحاضر ويسلك مطمئنا على مسـتقبله لخلو المجال من أية قوى مضادة تعكر صفو هذا المستقبل بات الفرد مطمئنا أو كان هذا الفرد متمتعا بالسواء النفسى . **(عبد الرحمن سيد سليمان – ١٩٩٣ ، ٣٥ : ٣٦)**

(٢) دور الأسرة فى تكوين الذات :

إن تكويـن ذات الإنسـان هـى تطويـر يستمر مدى الحياة وبشكل كبير يتم بصورة لاشعورية بالنسبة للفرد ومجتمعه ولكن جذوره ترجع أساسا إلى الفترة الأولى التى يشعر فيها الفـرد بذاتـه : فـى سن الطفل الأولى التى يتبادل فيها الابتسامات التى تحوى اعتبار الذات مصحوبا بالاعتبار الودى (Erikson , 1950) ويوضح رأى **إيركسون** هذا أن تكوين الذات عن طريق العلاقات مع الآخرين يشكل فى مجمله انطباع الآخرين عن الطفل ولذلك يعتبر **إيركسـون** الأم فـى بداية علاقتها مع الطفل وفى تقديمها الطعام له عن طريق الثدى مصدرا

للقـــوة، فإذا أشبع هذا المصدر حاجات الطفل فإن هذا المصدر يكون سيئا وعليه فإن الأم يمكن أن تكـــون حميمة ودود محبة للطفل أو أنها تكون عدوانية وغير حميمة وترفض إبنها وطلباته فـــإذا كانـــت الأم تلبى حاجات إبنها فإن النتيجة هى أن الطفل يكون منزعجا نفسيا ومضطربا عضويا والعكس صحيح.

ويـــتفق ســـولفن Sullivan 1954 مع إيركسون فى أن للأم دورا فعالا فى تكوين مفهوم الذات ويرجع ذلك إلى أن أول اتصال يقوم به الطفل مع والديه وعليه فإن الطفل يوجه كـــل اهتماماته وطاقاته بعلاقاته الاجتماعية مع والدته فهى إما أن تتجاوب معه وتعطيه قدرا كافيا من الحب والحنان وتلبى جميع احتياجاته أو أنها تهمله وتهمل حاجاته.

ويقول **سولفن** : أن ما نطلق عليه شخصية هو نتيجة الكيفية التى نرى أنفسنا بها وكيف يرانا الأخرون من حولنا فهى حصيلة العلاقات الإجتماعية مع الآخرين ونتيجة التفاعلات بين الفـــرد والأشـــخاص الذين يتفاعل معهم . ويقول أيضا أنه من خلال هذه التفاعلات يستطيع الطفـــل أن يعـــرف موقفه الاجتماعى وذلك إما أن يكون مقبولا أو مرفوضا وعليه فإنه إما أن يكـــون مفهوم جيد **Good me** أو مفهوم سيئ **Bad me** يؤدى إلى انخفاض مستوى احترام الـــذات عـــند الطفـــل وهذا بالطبع يؤدى إلى ارتفاع نسبة القلق عنده وكلاهما – احترام الذات المـــنخفض وارتفاع نسبة القلق – يكونان نتيجة التفاعل الاجتماعى مع الأم . ويؤكد **ســـولفن** أهمـــية هـــذا التفاعل فى تكوين المفاهيم الأساسية التى يتعلمها الطفل فى بداية حياته ويرى أن الطفل يتأثر بدرجة كبيرة بهذه المفاهيم فى حياته المقبلة ويكون لها أثر عميق فى نفسه.

لذلـــك نســـتخلص أن معاملـــة الوالدين الأولى للطفل فى سنه المبكرة لها دور فعال فى اختيار الطفل للمتطلبات الثقافية التى توافق شخصيته وبالتالى تنعكس على المجتمع فى تفاعله معـــه . وباختصـــار فإنهـــا تعطى الطفل صورة واضحة عن ذاته فتنعكس هذه الصورة على شخصـــية الفـــرد والمجـــتمع فإذا كانت المعاملة الأسرية الأولى جيدة وتعطى الطفل حقه فإن النتـــيجة قـــد تكون شخصية طيبة مستقيمة وإذا كانت المعاملة الأسرية الأولى غير جيدة فإن النتـــيجة قد تكون شخصية مهزوزة فى كيانها وتعكس مشكلاتها على المجتمع الذى تعيش فيه والإســـلام لم يهمل دور الأسرة فى تكوين شخصية الإنسان فى وضع معايير ثابتة فى تكوين الأســـرة المسلحة التى تساهم فى تكوين وبناء الشخصية المسلمة المتزنة ونظرا لأهمية الدور الذى يلعبه الكلام فى تكوين الشخصية المتزنة عن طريق الأسرة المسلمة.

(عبد الله خوج –فاروق عبد السلام –٣٧ :٤٣)

(جـ) من متغيرات الشخصية قـوة الأنـا

(١) نظرية التحليل النفسى فى الشخصية:

يعتـبر **سيجموند فرويد** **Sigmand Freud** هو مؤسس **نظرية التحليل النفسى** ولقد صاغ هذه النظرية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولنظرية التحليل النفسى من الشمول و الاتساع و العمق ما يشهد بعبقرية **(فرويد)** وموسوعية ثقافته ونفاذ بصيرته وقدرته الفائقة على الملاحظة وصياغة الفروض وربطها معا فى نظرية واحدة وتعدد جوانب النظرية حتى لتكاد أن تكون عدة نظريات لا نظرية واحدة . ولم يقتصر تأثير النظرية على علم النفس وحده بل امتد تأثيرها إلى مختلف العلوم الاجتماعية والفنون الجميلة والآداب ولقد حدد ملامح هذه النظرية وقسمها :

(١) الشخصية من الناحية التكوينية والتى تبدأ منذ ميلاد الطفل.

(٢) المـرحلة الثانية للشخصية من الناحية الدينامية وهى التى تعتمد على التفاعل والحركة والتغير فى عملية نمو مستمرة .

(٣) الشخصـية من الناحية الطوبوغرافية حيث يقوم الصراع داخل شخصية الفرد بين قوى ثلاث هى: الهو **ID** و الأنا **EGO** و الأنا الأعلى **SUPER EGO**.

أ - **أما الهـى فتتمثل فى الجزء الأساسى منها تلك الطاقة الغريزية التى يولد الفرد مزودا بها وقوام هذه الطاقة مجموعة من الغرائز الجنسية والعدوانية ويضاف إلى هذه الغرائز والعمليـات العقليـة التى كبتت وانفصلت عن الحياة الشعورية و الهـى تدفع الفرد إلـى إشباع الرغبات الغريزية بصرف النظر عن أية اعتبارات وهو فى هذا يتبع مبدأ اللذة. وتتوقف قدرة الهـى على إمكانات الفرد العضوية وطبيعة إفراز الهرمونات لديه.**

ب- **الأنـا** جهاز ينشأ نتيجة التفاعل بين الكائن وبيئته أى بين الرغبات التى تتطلب الإشباع والموانـع الـتى تضـعها البيئة ونشاط **الأنا** شعورى فى معظمه ووظيفته حفظ توازن الشخصية والدفاع عنها وقد نشأ **الأنا** أصلا لينظم إشباع غرائز **الهى** وحتى لا تصطدم مع الواقـع الخـارجى أو مـع **الأنا** الأعلى ويعمل **الأنا** حسب مبدأ الواقع أى أنه يراعى المواصـفات الاجتماعـية ومطالب البيئة ولذا فإنه كثيرا ما يكبح جماح **(الهى)** حتى لا تـتعرض الشخصـية للخطـر أو للألـم وكلما كان **الأنا** قويا حظيت الشخصية بالاتزان والصحة النفسية.

ج - **الأنـا الأعلـى** - هو آخر أجهزة الشخصية فى الظهور وينشأ عندما يستدخل الطفل قـيم المجتمع ومثله العليا وأخلاقياته داخل نفسه ويقوم **الأنا الأعلى** بوظيفة مكيل المجتمع داخـل الفـرد وبذلك يقيم الطفل من نفسه رقيبا داخليا على تصرفاته ومعظم نشاط **الأنا**

الأعلى لاشعورى وتتوقف درجة قوة **الأنا الأعلى** على التحذيرات والتوجيهات والتعليمات التي تلقاها الفرد فى الصغر ونوع المكافآت والعقوبات التى تعرض لها أثناء تنشئته.

ويحدث التفاعل فى الشخصية بين الأجهزة الثلاثة على النحو التالى: تدفع **الهى** الفرد إلى التماس الإشباع ولكن **الأنا** تقف فى وجه هذا الطلب إلا فى الحالات التى تسمح فيها الثقافة بذلك وعلى **الأنا** أن يحول دائما بين الصدام المباشر للقوتين المتعارضتين وهما **الهى** و**الأنا الأعلى** وأن يوازن بينهما وعلى قدر ما يحقق الأنا من نجاح مهمته يكون توافق الفرد والتزامه وعلى قدر ضعف الأنا وعدم قدرته على القيام بوظيفته يكون ضعف الفرد وتردده وتخاذله واضطرابه وإذا تغلبت **الهى** فى هذا الصراع صار الفرد مندفعا أهوج عدوانيا.

وإذا تغلبت **الأنا الأعلى** أصبح الفرد منطويا منكمشا متزمتا كثير اللوم لنفسه عازفا عن المشاركة فى كثير من الحالات فى أنشطة الحياة اليومية والاجتماعية.

(علاء الدين كفافى – ١٩٩٧، ٢٦٩: ٢٧٠)

ولذلك يرى فرويد أن الشخصية السوية رهن بقوة الأنا وهو يرى أن فى قوة الشخصية ثلاث قوى أو ثلاث وظائف وهى:

أ – **الوظيفة الأولى** وهى التى ترتبط بجهاز أو بمنظمة الهى أى التى ترتبط بالدوافع الفطرية التى يولد الفرد مزودا بها وهى تمثل الطاقة الأساسية للسلوك عند الإنسان وهى تدفعه إلى النشاط والحركة لإشباع الدوافع وهذه الطاقة تتضمن غريزتين أساسيتين هما غريزة الجنس وغريزة العدوان.

ب– **الوظيفة الثانية** فى الشخصية فهى الوظيفة العاقلة، أو وظيفة التحكم والضبط أى الوظيفة التى يمكن أن تبصر الفرد بعواقب سلوكه وهى الوظيفة المرتبطة بجهاز أو بمنظمة الأنا والأنا هو مدير الشخصية أو متخذ القرار فيها فاختبار الواقع Reality testing وإصدار الأحكام والإحساس بالواقع الخارجى وتنظيم العلاقة بالآخر وعمليات التفكير كل ذلك يدخل فى نطاق الوظائف التى يقوم بها الأنا.

جـ– **الوظيفة الثالثة** فهى وظيفة الرقابة والردع وترتبط هذه الوظيفة بجهاز أو منظمة الأنا الأعلى التى تشير إلى وظيفة المثل العليا والقيم الخلقية فى حياتنا حيث يستدخل الفرد هذه المثل وتلك القيم أثناء عملية التنشئة والتربية ولمنظمة الأنا الأعلى خاصية مراقبة سلوك الفرد ولومه أو لوم جهاز الأنا إذا فشل فى الالتزام بالقيم الخلقية.

ولذلك توجد الشخصية السوية إذا اتصفت المنظمة الثانية وهى منظمة الأنا بالقوة بحيث تستطيع أن توازن بين المنظمتين الأخريين الهى التى تتطلب الإشباع بصرف النظر عن أى اعتبار والأنا الأعلى الذى يعارض هذا الإشباع إلا فى الإطار الاجتماعى المقبول وعلى قدر

قـــوة الأنـــا يكون نجاحها فى مهمتها فى إحداث التوازن أما إذا فشلت الأنا فى مهمتها بسبب ضـــعفها أو قـــوة الوظـــائف الأخـــرى فإن الفرد يكون معرضا لأية صورة من صور اللاسواء (علاء الدين كفافى – ١٩٩٩، ٢٣٥)

(٢) نظرية التحليل النفسى فى تفسير السلوك الجانح

تعتبر مساهمة التحليل النفسى أساسية جدا فى فهم السلوك الجانح وتوضيح خفاياه ورغم أن هذه النظرية اهتمت أساسا بالاضطرابات النفسية على اختلاف أشكالها إلا أن مساهمتها فى دراســـة الانحـــراف لا تقتصر على توضيح غموض الحالات المرضية وحدها فهى قد سلطت أضـــواء أساسية على دوافع السلوك الجانح لدى الأحداث وساعدت على فهم تركيب شخصية العديد منهم مما ساعد على وضع خطط تربوية وعلاجية ملائمة حيث كانت تفشل الأساليب التربوية التقليدية القائمة على مبدأ الثواب والعقاب أو التربية الخلقية العادية والإعداد المهنى.

وقـــد قامت الدراسات التحليلية النفسية لنوعية شخصيات الجانحين حيث فسر المحللون الأوائل الانحراف وقد قامت دراسات حول هذا الموضوع ودراسة الجانح بشكل مستقل حيث قسمها إلى ثلاث مراحل:

(١) الجانح إنسان بدون أنا أعلى

(٢) الجانح إنسان ذو أنا أعلى عنيف

(٣) اضطراب الأنا لدى الجانح

وتعالج كل مرحلة أمرين اثنين هما مركز الخلل فى شخصية الجانح الذى يؤدى به إلى السلوك المنحرف وأسباب هذا الخلل تاريخيا تكوينيا أو وجدانيا أو تفاعليا.

الجانح إنسان بدون أنا أعلى

وتعتـــبر أول محاولـــة لتفســـير سلوك الجانح كانت القول بغياب الأنا الأعلى حيث أن **إيكهـــورن** هـــو الـــذى تقدم بهذا الافتراض التفسيرى فى كتابه الشباب الجامح وهو من أتباع فـــرويد ووضـــع افتراضه بموافقته، وكان المبرر لوضعه سلوك هؤلاء الجانحين الذى يتميز بالعـــنف والاندفاع وانعدام الضبط الذاتى وانعدام مشاعر الذنب والخطأ والندم وعدم الإحساس بـــآلام الآخرين هذه المظاهر تجعل المراقب يعتقد أنهم يفتقدون الحس الخلقى تماما وينجرفون فـــى تيار نزواتهم وحيث أن المسئول عن هذه الوظائف هو الأنا الأعلى (مركز الضبط الخلقى ومشاعر الذنب ومحاسبة الذات) فلقد ظن **إيكهورن** أن الجانحين يفتقدون هذا الأنا الأعلى أو أنه ضـــعيف جدا لديهم بشكل يجعله عاجزا عن القيام بوظائفه الخلقية ويكون الجانح بالتالى واقعا

تحت وطأة الهو (مركز الشهوات) مما يجعله يعتدى على الحرمات ويخرق القوانين الاجتماعية بشكل أنانى.

إلا أن الملاحظات الدقيقة أثبتت فيما بعد صعوبة الأخذ بهذا الافتراض التفسيرى فالجانح الشائع لا يختلف كثيرا عن الناس العاديين حيث أن عنفه وأنانيته ليست بالصفات العامة التى تميز حياته بشكل دائم بل يقتصر ظهورها على مناسبات معينة وخارج هذه المناسبات يظهر الجانح عادة قدرة حسنة على التعاطف مع الآخرين وتنتابه مشاعر الندم ويستطيع التمييز بين الصواب والخطأ. كما أنه فى حالات أخرى يظهر الكثير من الحياء والتأثر ويندفع فى تصرفات غيرية ثم أن فرويد نفسه ونفرا من المحللين الذين عالجوا بعض حالات الانحراف اتضح لهم أن وراء هذا القناع من القسوة المفرطة والأنانية ميولا دفينة تعصف بالجانح وتدفع به إلى تحقير ذاته وتحطيمها. كما تدفع به أحيانا إلى القيام بأفعال تظهر جميع الدلائل على أن المحرك الأساسى وراءها هو البحث عن العقاب. ويظهر ذلك خصوصا فى حالة الجانحين المعتادين الذين يكررون انحرافاتهم وينتقلون ما بين حياة السجن والحياة الحرة.

وقد أدت هذه الملاحظات إلى تغيير كلى فى النظرة إلى الجانح وقلب الافتراض السابق إلى عكسه.

(ب) الجانح إنسان ذو أنا أعلى عنيف

ليس الجانح إنسانا مجردا من الأنا الأعلى بل هو على العكس ضحية أنا أعلى عنيف يمارس على صاحبه نوعا من الهمجية ويدفعه باستمرار إلى وضعيات تنتهى بالعقاب والحط من القيمة الذاتية وهو بذلك يحرمه من الوصول إلى النجاح أو إلى العيش اللائق ويدفعه باستمرار إلى البقاء فى وضعية المدان. ويلتقى حول هذا الافتراض **فرويد** و **ميلانى** وأتباع كل منهما ولكن هناك اختلافا فى المنطلق الذى أدى بهما إلى هذه النتيجة.

(١) رأى فرويد:

فيقول أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب وهو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناتجة عن أنا أعلى مفرط فى قسوته ويتطلب العقاب بشكل دورى لكى يهدأ ويعود سبب نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف إلى فشل عقدة أوديب. يظل الطفل متعلقا بأمه ومشحونا بالنوايا العدوانية اللاواعية تجاه الأب هذه النوايا العدوانية تطلق بدورها مشاعر ذنب شديدة وخوف من انتقام الأب، وهكذا يتكون لديه أنا أعلى على صورة هذه الأب الهوامى: الأب العنيف المنتقم والذى يعاقب الطفل على نواياه العدوانية والتملكية وهذا الأنا الأعلى يتميز إذا بالعنف بينما يفترض أن يتميز فى الحالات السوية بالرأفة والتشجيع والتقدير بالإضافة إلى الحساب المتشدد على الأخطاء.

ويظهـــر العـــنف على شكل مشاعر ذنب قوية تحتاج إلى عقاب كى تهدأ ولذلك فالجانح تـــبعا **لفـــرويد** مدفوع فى أفعاله بالبحث اللاواعى عن العقاب إلا أن جميع هذه الدوافع تكبت عادة ولا يعي الإنسان سوى آثارها المؤلمة.

ولقـــد فســـر فرويد وبعض أتباعه مثل **باش** و **كات** ، **فريد لاندر** و **ليبو فيسى** ظاهرة الـــتكرار عـــند بعض الجانحين الفاشلين من خلال هذا الافتراض، فالجانح الفاشل المكرر يبدو وكأن لديه انجذابا نحو السجن يعطى الانطباع وكأنه ينحرف كى يعاقب وفى السجن يبدو عليه الهـــدوء لأن العقاب يسكت صوت الأنا الأعلى بعد خروجه، لا تمضى فترة طويلة من الزمن فـــى حـــياة الحرية حتى يتحرك الأنا الأعلى من جديد مطالبا بالعقاب من خلال إثارة مشاعر الذنب الشديد ويستجيب الجانح لذلك بالعدوان والسلوك المضاد للمجتمع فيعاقب من جديد وهكذا تترســـخ الحلقـــة المفرغة التى تميز حياة هؤلاء المكررين . ولكن هذا الافتراض التفسيرى لا ينطبق على جميع الجانحين حيث أنه يصلح فقط لفهم الانحراف النابع عن مشاعر ذنب مرضية ونســـبة هـــذه الحالات تبقى محدودة بالقياس إلى جمهرة الجانحين الذين لا يتمنون سوى البقاء طلقاء والاستمتاع بمثار الحياة الجانحة.

(٢) رأى **ميلانى كلاين**:

تقول **ميلانى كلاين** بأن الجانح مدفوع أساسا بأنا أعلى عنيف وهمجى ولكنها تختلف مع **فـــرويد** حـــول نشأة هذا الأنا الأعلى الهمجى بينما يرده فرويد إلى عقدة أوديب ما بين الثانية والنصـــف والخامســـة أو السادسة من العمر. ترى **ميلانى كلاين** أن الأنا الأعلى سابق لعقدة أوديب ويتكون فى السنة الأولى من الحياة، وهى ترجعه إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجـــربة الرضـــاعة . فـــالطفل عندما يرضع لا يبتلع الحليب فقط وإنما تتكون لديه فى نفس الوقـــت صورة ما عن الأم وبالتالى عن نفسه من خلال نوعية تجربة الرضاعة فإذا كانت هذه الـــتجربة وما رافقها من علاقة سارة ومطمئنة ومشبعة للطفل تكونت لديه صورة إيجابية عن الأم وهـــذا ما تطلق عليه **مـــيلانى كلاين** اسم صورة الأم الصالحة .أما إذا كانت هذه التجربة مؤلمة أو محبطة ولم يحصل الطفل من خلالها على الارتياح أو الطمأنينة فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم وهو ما تطلق عليه اسم صورة الأم السيئة وصورة الأم هذه سواء كانت إيجابية الأم الصـــالحة أو ســـلبية الأم السيئة تشكل النواة الأولى لكل صورة تالية يكونها الطفل عن الآخريـــن وعـــن العالم من ناحية ولكل صورة يكونها عن ذاته وعن وجوده من ناحية ثانية وهكذا تؤدى صورة الأم الصالحة إلى تكوين صورة إيجابية عن الذات وبالتالى تنشئ أنا أعلى ودورا ورفيقا أما الصورة السيئة فتؤدى إلى تكوين قيمة سلبية عن الذات وإلى تكوين أنا أعلى همجى عنيف يمارس بطشه على الطفل.

(جـ) اضطراب الأنا لدى الجانح

بعد الاهتمام بالهو ومحتوياته المكبوتة وكيفية تسربها إلى السلوك والاهتمام بالأنا الأعلى ونشأته ودوره فى الحياة النفسية توجه اهتمام المحللين النفسيين إلى الأنا باعتباره القوة المنسقة لجميع المعطيات والمنفذة للرغبات ومن خلال هذا التنسيق كان هذا التوجه طبيعيا إذ لا يكفى أن نعرف حالة النزوات حتى نحدد نوعية الاضطراب ونفهم الشكل الذى يظهر فيه. لابد فى أن معا من معرفة حالة السلطة المنسقة والمنفذة من قوة أو ضعف ومعرفة موقفها من المتطلبات المتعارضة التى تجابهها. كثير من العلماء الذين اهتموا بدراسة الأنا وأعطوه المكانة الأولى فى النظرية التحليلية النفسية لفهم السلوك السوى والمرضى ولكن تبقى مساهمة أنا فرويد من أبرز المساهمات فى هذا الميدان فلقد كرست أهمية الأنا نهائيا فى كتابها الأنا والألليات أو الميكانيزمات الدفاعية الذى صدر بالألمانية عام ١٩٤٦ وترجم إلى معظم اللغات حيث عرضت الوسائل التى يتبعها الأنا لمجابهة الضغوط المختلفة التى يتعرض لها ولقد صار واضحا أن نوع الاضطراب والشكل الذى يظهر فيه يتحدد فى نهاية الأمر بطبيعة هذه الأوالليات التى يلجأ إليها لمجابهة القلق، ولقد امتدت الدراسات حول عمل الأنا إلى ميدان انحراف الأحداث وظفرنا من ذلك بدراسة قيمة حول خصائص الأنا الجانح وطريقة عمله وأولياته الدفاعية تكاد تعتبر فتحا فى هذا الميدان. إذ أثبتت أن الأنا الجانح وطرقه الخاصة فى مجابهة الضغوط والقلق تختلف عن أنا الناس العاديين أو العصابيين أو الذهانيين. وقد قام بهذه الدراسات المحلل النفسى الأمريكى **فرتزددل.** **(مصطفى حجازى- ١٩٨١، ٢٥، ٢٩، ٣٤)**

وترتكز **مدرسة التحليل النفسى** على حافزين بيولوجين فطريين. هما حافز الجنس وحافز العدوان ومن وجهة نظرها يلعب دورا خطيرا فى تحديد سلوك الفرد واتجاهاته فى مختلف أدوار حياته ملازم له للمحافظة على ذاته وتوكيد وجوده. والعدوان هو الأخر حافز فطرى يتصل بالحوافز البيولوجية وظيفته المحافظة وإشباع حاجاته. ويظهر العدوان حين تبقى الحاجات بلا إشباع نتيجة كبتها أو صدها كما يظهر فى أى صورة من صور تأكيد الذات وأن الذات السوية تعمل دائما على التكيف والتوافق عن طريق إدراك الدوافع والحاجات الفطرية من ناحية وإدراك الظروف الخارجية من ناحية أخرى، ثم تعمل على تنسيق هذه الدوافع والرغبات بعضها مع بعض، ثم بينها وبين قيم الذات العليا الأخلاقية، وذلك فى حدود الظروف والإمكانيات التى تتعلق بالبيئة. وفشل الذات فى أحداث هذا التوافق -فى المستوى الناضج- يؤدى بالفرد إلى أحد مصادر ثلاثة: المرض النفسى أو الجناح أو الجريمة.

(أنور محمد الشرقاوى- ١٩٨٦، ١٦٢)

(٣) دراسة ردل للأنا الجانح

فهـو لا يهـتم بتوضـيح نشأة وأسباب السلوك الجانح بل يركز جل همه على الدراسة الدقـيقة لطريقة عمل الجهاز النفسى عنده خصوصا عمل الأنا وخصائصه وأوجه القصور فى الأنا الأعلى على أن القسط الأكبر من اهتمامه ينصب على دراسة الأنا من النواحى التالية:

(أ) وظائف الأنا

(ب) القصور التكيفى للأنا

(جـ) الأواليات الدفاعية للأنا الجانح

حيـث نجد أن النقطة الأولى هى معادلة توضيحية لمفهومه عن الأنا ووظائفه الأساسية أمـا الثانية فتعالج جوانب العجز التكيفى فى الأنا الجانح العجز عن تحقيق الذات وتوكيدها من خـلال الإنجازات وأما النقطة الثالثة فيعرض فيها أحد الأساليب الدفاعية التى يتسلح بها الأنا الجانح.

(أ) وظـائف الأنـا :

للأنا وظائف أساسية أهمها فى رأيه ما يلى :

(١) **وظيفة معرفية** : وهى ذات شقين الأول يتوجه للتعامل مع العالم الخارجى والإبقاء علـى الصـلة معـه علـى المسـتويين المادى الفيزيقى والاجتماعى والأشخاص والجماعـات والوضـعيات الإنسانية. كما يقوم بحصر الإمكانات والأخطاء وإيجاد طـرق الوصـول إلى الأهداف وأما الشق الثانى من الوظيفة المعرفية فيتوجه إلى الداخل إلى ما يحدث ضمن الشخصية ويهدف إلى التقويم المعرفى للهو (الرغبات والنزوات) وللأنا الأعلى (الحساب الداخلى).

(٢) **وظيفة القوة**: قدرة الأنا على فرض قراراته ومقاومة بقية القوى فى الجهاز النفسى فـلا يكفى أن يتمكن الأنا من حسن الاختيار وإنما يجب أن يتوصل إلى فرض هذا الاختيار.

(٣) **وظـيفة الاختيار** : بعد إدراك مختلف جوانب وضعية ما وأفضل حل لها على الأنا أن يختار حلا ملائما ووسيلة مناسبة لتنفيذه.

(٤) **وظـيفة تنسيقية** : تنسيق متطلبات وضغوط مختلف القوى الضاغطة على الأنا من خلال مراعاة مختلف الاعتبارات ويتوصل إلى حل يراعى التوازن الحسن بينهما.

(ب) القصور التكيفى للأنا الجانح

يعدد خصائص الأنا العاجز عن القيام بوظائفه عند الجانح سواء ظهر هذا العجز فى وضعيات صعبة أو تناول وظيفة محددة وهو لا يهتم كثيرا لمسألة أسباب العجز بقدر ما يدرس خصائصه ومظاهره والهدف من ذلك هو وضع خطة لمواجهة نتائجه **ومن أهم هذه الخصائص التى تقضى على فرص التكيف ما يلى:**

(١) **انعدام القدرة على تحمل الإحباط** مما يجعل الجانحين يثورون أمام أى حرمان ويندفعون فى تصرفات عنيفة لتحطيم العقبات بصرف النظر عن النتائج أو الأخطار التى يتعرضون لها.

(٢) **العجز عن السيطرة على القلق والخشية وانعدام الشعور بالأمن** على عكس الأطفال العاديين الذين يملكون العديد من الوسائل التى تساعدهم على الاحتياط من المخاوف والدفاع عن أنفسهم إزاءها تجد الجانح يعجز عن ضبط نفسه تجاه المخاوف والقلق الداخلى ويندفع فى تصرفات عدوانية أو عشوائية أو متطرفة.

(٣) **انعدام القدرة على مقاومة الإغراء** فهم يقعون أسرى مغريات اللحظة الراهنة وينجرفون وراء إشباعها بشكل اندفاعي وبدون أى تقدير للعواقب.

(٤) **العدوى الجماعية** : إزاء الإثارة ينجرف هؤلاء مباشرة فى تصرفات مضرة بأنفسهم وبالآخرين فى عملية من التسمم الجماعى فيكفى أن تتجه الجماعة نحو بعض تصرفات العدوان أو التدمير حتى يشارك معظمهم فيها فى حالة من فقدان تقدير الواقع.

(٥) **العجز - الجمود** : يتجنب الجانح الوضعيات الجديدة التى لم يعرفها ولم يقدر أن يتصرف تجاهها وإذا وجد فى وضعية تخرج عن المألوف يعجز كليا عن التكيف السوى لها ويستجيب إما بالسلوك العدوانى أو بالتهريج.

(٦) **العجز عن ضبط سدود الماضى** : يتهرب الجانح من مواجهة خبراته المؤلمة وإذا حدث أن اضطر لمجابهتها أو إذا هى استيقظت لسبب ما فإنه يصاب بالذعر ويحتمى فى النفس الكلى المعاند أو إدعاء عدم الحساسية أو السلوك العدوانى ولذلك أثار خطيرة على العلاج إذ لا يجوز إثارة هذه الخبرات قبل تدعيم الأنا بشكل كاف كى يتمكن من مجابهتها.

(٧) **تلاشى الإحساس بالمسئولية الشخصية** فى السلسلة السببية بالنسبة للجانح المسئولية تقع دائما على الآخرين وهو يعجز عن إدراك دوره فيما حدث ولو كان هذا الدور أساسيا أو كان هو المسئول الأول عما حدث فهو يقف بشكل اضطهادى من الأحداث

ملصـــقا التهمة بالآخرين ومعتبرا أنه ضحيتهم ولذلك غالبا ما يعتبر القصاص أمرا غير عادل.

(٨) **الحـــرب ضـــد الوقـــت:** ويقصد بذلك أمرين اثنين : عدم القدرة على تقدير الزمن الموضـــوعى والعيش فقط انطلاقا من الزمن الذاتى واضطراب العلاقة مع المستقبل وعـــدم القدرة على التخطيط ولو لمستقبل قريب نسبيا والتصرف انطلاقا من اللحظة الراهنة وهذه نقطة فى غاية الأهمية بالنسبة لنجاح أو فشل البرامج العلاجية.

(٩) **الـــتعلم مـــن التجربة:** وهى ترتبط باضطراب العلاقة بين الماضى والحاضر ولذلك تـــبقى تجارب الماضى عديمة الجدوى فى توجيه السلوك الحسن ولذلك يقع الجانح فـــى نفـــس المأزق مرارا وتكرارا ناسيا فى كل مرة النتائج التى ترتبت على تجربته السابقة.

(١٠) **الـــتعلم مما أصاب الآخرين** : يعيش الجانح عادة تحت شعار هذا لن يحدث لى أنا ولذلـــك فهو يعجز عن استخلاص العبر مما حل بالآخرين وتوجيه سلوكه تبعا لذلك لـــيس هـــناك أى استمرارية بين ما حدث للأخر وما يمكن أن يحدث له هو فى نفس الظـــروف أنـــه يعتـــبر نفســـه حالـــة خاصـــة لا تنطبق عليها قوانين الحياة المادية والاجتماعية.

(١١) **رد الفعل للفشل:** يخاف الجانح كثيرا من الفشل ويؤدى به ذلك إلى تجنب التجريب أو مجابهـــة وضعيات جديدة. ويميل كى يدعم تهربه هذا إلى إدعاء وعدم الرغبة أو الحـــط مـــن قيمة التجربة أو ادعاء عدم القدرة ويشكل ذلك عقبة فعلية أمام برامج التعليم المدرسى والتدريب المهنى التى توضع لهم.

(١٢) **تفكـــك الأنـــا أمام مشاعر الذنب:** هنا أيضا يظهر الجانح عجزا واضحا من تحمل مســـئولية الخطـــأ والإحســـاس بالذنب وهو يلجأ إلى مجموعة من الأواليات النفسية للاحـــتماء مـــن مشـــاعر الذنب، أما إذا وضع أمام خطئه فإنه يتصرف عادة بشكل هروبى أو عدوانى أو اضطهادى أو هو ينهار ويسقط فى يده.

(مصطفى حجازى- ١٩٨١، ٣٦: ٣٨)

أن اشـــتداد هـــذا الإحساس اللاشعورى بالذنب قد يجعل الناس مجرمين وهى حقيقة لاشـــك فيها، فمن الممكن أن نكتشف عند كثير من المجرمين وخاصة الشباب منهم إحساسا قويا بالذنب كان موجودا قبل الجريمة .

حيـــث أنه ليس ناتجا عنها وإنما هو الدافع لها وكان هؤلاء الشبان يجدون شيئا من الراحة إذا تمكنوا من ربط هذا الإحساس اللاشعورى بالذنب بشىء واقعى و مباشر.

(محمد عثمان نجاتى – ١٩٨٢ ، ٨٤)

(ج) الأوليات الدفاعية لأنا الجانح

ومن أهم اتجاهات هذه الأوليات الدفاعية وهى ثلاثة:

١- **استراتيجية تجنب الحساب الداخلى** وتدور حول الأوليات الدفاعية التى يتسلح بها الأنا لتجنـــب مشاعر الذنب الداخلية ووضعية الخاطئ اجتماعيا أو بدون هذه الوسائل لن يتمكن من الاستمتاع بثمار الحياة الجانحة.

٢- **البحث عن سند للانحراف** ويتلخص أيضا بمجموعة من الأوليات الدفاعية التى تشجع الانخراط فى الحياة الجانحة وتزييفها وتبعده بالتالي عن التفكير بإمكانية التكيف.

٣- **مقاومة التغيير** وتتحرك الأوليات الدفاعية هنا عندما تحاول إصلاح الجانح ودفعه إلى تغيير نمط حياته والإقلاع عن الانحراف وتهدف هذه الأوليات خصوصا إلى إحباط محاولة التغيير هذه بإبطال مفعولها أو القضاء على إمكانية نجاحها.

وتـــتفاعل الأوالـــيات الدفاعية مع جوانب القصور والتكيف فى الأنا مما يؤدى إلى تدعـــيم متبادل بينها ويضخم هذا التدعيم آثارها السلبية على السلوك التكيفى مما يسد جميع منافذ التعامل المتكيف مع الحياة ومجابهتها ماعدا منفذ واحد هو الانحراف كإمكانية وحيدة للوجـــود علـــى أن الأمر لا يقتصر على الأنا وإشكالاته بل يضاف إليها اضطرابات الأنا الأعلى التى تتفاعل مع الأنا وتؤدى إلى زيادة تعقيد المشكلة وبالتالى صعوبة التغيير.

(د) اضطرابات الأنا الأعلى عند الجانح

خصائص الأنا الأعلى التى يتصف بها الجانح هى:

١- **التماهى (التوحد) بقانون جامح نابع من المحيط**

العدوانية الزائدة والتحديات وغيرها من التصرفات التى تميز الجانحين لا تنبع من غياب الحـــس الخلقـــى بحد ذاته بل من التماهى بقيم جماعة جانحة (أسرة مفككة عاطفيا) ومتدهورة خلقيا هى هامش فى صراع مع المجتمع الكلى، سلوك الجانح ليس ثورة ضد القيم وإنما تكيف لتلك القيم النوعية التى تتعارض مع قيم المجتمع الكلى.

٢ - **جريزات قيم الطفولة**

يقـــوم الجـــانح فجأة بتصرفات تدل على قيم إيجابية لديه وتبدو هذه القيم خصوصا فى بعـــض لحظـــات العلاقـــة الودية الوثيقة مع المربى أو فى بعض المناسبات مع المربى أو فى بعـــض المناسبات الاجتماعية وهى وليدة الجانب الاجتماعى مع معايير المحيط الذى لا يخلو منها مهما بلغت درجة تفككه ومهما وصلت حدة صراحته مع المجتمع الكلى.

٣- حساسية للقيم واحترام القيم

هناك احترام لقيم الغير عندما يوجد الجانح فى بيئة غريبة عليه فهو يتصرف عادة بأدب وحذر وتحفظ شديد وهو يحرص كل الحرص على أن لا تبدر منه تصرفات تصدم من حوله من الغرباء يراعى الجانح تلك القيم دون تبنيها شخصيا.

٤- عدم ملاءمة وظيفة التنبيه

قـد لا يكون الخلل فى محتوى الأنا الأعلى وإنما فى وظيفة التبنية حيث ينساق الجانح وراء المغـريات تلقائيا وبدون ضابط ولا يتحرك الأنا الأعلى مولدا مشاعر الذنب والندم إلا بعـد وقوع الخطأ. ويتكرر هذا الأمر فيما بعد بنفس الطريقة وهكذا بدل أن ينبه الأنا الأعلى قبل وقوع الخطأ ينحصر دوره فى مفعول رجعى (تنبيه بعد فوات الأوان).

٥- قصور فى أولوية التماهى

لـم يتمكن الجانح من إقامة التماهيات الأولية بالأم والأب والجماعة الأسرية لأن صور هـؤلاء لم تكن حاضرة بشكل كاف أو هى غير ثابتة فى حضورها وفى نوعية هذا الحضور (الـتذبذب ما بين الشدة والتراخى) وكذلك قد تكون هذه الصور الوالدية مفتقدة للصفة الإيجابية وللشحنة العاطفية الكافية لتكوين نموذج إيجابى من العلاقات مع الآخرين ويؤدى ذلك كله إلى التشويش والقصور فى التماهيات وإلى اختلال سلم القيم الذاتى.

(هـ) تصلب الأنا الأعلى

حيث يقوم الأنا الأعلى فى هذه الحالة بوظيفة فى قطاع معين فقط ويظل صامتا فى بقية القطاعات ولذلك يحدث خلل فى القدرة على التصميم مثلا قد يكون الجانح عديم الحساسية تجاه القـدر الذى ينزله بالآخرين ولكنه يذوب حساسية لأقل تقصير تجاه الأم والأب ، كما قد نجده يقـيم علاقة إيجابية مع أحد المربين ويبدو أناه الأعلى مفرط الحساسية تجاهه ولكنه يظل عديم الحساسية تجاه الآخرين فالجانح يصنف العالم والآخرين إلى فئتين قاطعتين لا تداخل بينهما: الفـئة الصالحة والفئة السيئة ويؤدى هذا التصنيف إلى نتائج خطيرة إذ يمنعه من رؤية الواقع بموضوعية كافية ويسد أمامه فرصة التعامل مع هذا الواقع بشكل ناجح. ويؤكد دول أن ننظر إلى كل من اضطراب الأنا وأولياته الدفاعية واضطرابات الأنا الأعلى من خلال تفاعلهما معا فهذا التفاعل وحده هو الذى يكون الصورة المتكاملة عن شخصية الجانح وخصائصها وأسلوبها فى الوجود والتكامل مع الآخرين .

وتعتـبر هـذه بعـض أوجه القصور فى أنا الجانحين وهى تعتبر عقبة فى سبيل إعادة تكـيفهم كما أنها تدعم ميلهم للانحراف كنشاط أساسى أو باعتباره النشاط الوحيد الذى يبرعون

فيه. ولا يجوز أن نأخذ كل من هذه الجوانب بمفردها عند تشخيص حالة الجانح بل يجب النظر إليها في مجموعها وتفاعلها . وكلما زاد عدد هذه الأوجه كان الأنا أكثر عجزا عن مجابهة الحياة وتحدياتها. (مصطفى حجازى – ١٩٨١، ٤٠: ٤٥)

ثالثا : ظاهرة جناح الأحداث

(١) مشكلة جناح الأحداث بين الأهمية والخطورة :

تتضمن أهمية مشكلة جناح الأحداث وخطورتها من تعدد الأبعاد والجوانب المرتبطة بها ومن معرفة مختلف أشكال السلوك الجانح الذى يقوم به الجانحون وأثار ذلك على الجانح نفسه فى توافقه مع المجتمع وعلى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخلفية والقضائية فى المجتمع الذى يعيش فيه.

وهذه الأبعاد التى تتجلى فيها أهمية هذه المشكلة هى :

(أ) البعد التربوى

يرتبط جنوح الأحداث ارتباطا وثيقا بعملية النمو وأساليب التنشئة الاجتماعية التى تعرض لها هؤلاء الأطفال فى مراحل حياتهم الأولى وإذا كنا نقول أن الطفولة هى صانعة المستقبل وأن طفل اليوم هو رجل الغد فإن عدم فهم هذه المرحلة سوف يؤدى إلى خلق أطفال غير أسوياء مضطربين تؤتى على أيديهم ألوان عديدة من السلوك المنحرف. كذلك إذا كان معروفا أنه لا يمكن أن تكلل جهودنا بالنجاح فى أى عمل إذا اقتصرنا فى التخطيط على الاعتبارات المادية دون البشرية وعلى ذلك فأن أطفالنا وشبابنا فى حاجة ماسة إلى أن يساعدهم فى تخطيط مستقبلهم وأن يكون هذا التخطيط قائما على أسس علمية سليمة وبالتالى لابد من المعرفة التامة بالظروف التى تتم فيها عملية التنشئة الاجتماعية وأهم الأساليب التى تستخدم وكيفية سير عملية النمو فى مسارها السليم فى مختلف مظاهرها حتى يمكن توفير الظروف المناسبة لخلق طفولة سوية من شأنها أن تحصن الأطفال من الانزلاق فى الجناح أو أى شكل من أشكال الانحراف.

(ب) البعد القضائى

يمثل الجانحون مشكلة قانونية وقضائية فى المجتمع، ويظهر ذلك فى ازدياد عدد المخالفات والقضايا التى يتعرضون لها نتيجة الاستغراق فى ارتكاب مختلف أشكال السلوك المنحرف. الأمر الذى يتطلب مزيد من الإجراءات الشرطية والقضائية لمواجهة هذه المشكلة، ورغم أن هذا البعد له صبغة اجتماعية، فضلا عن طبيعته القانونية البحتة فقد أصبح له مكانة

هامـــة فى النظام القانونى لكثير من دول العالم فى محاولة لمواجهة هذه المشكلة، والحد من انتشار الجرائم التى يمكن أن يقترفها الجانحون وهنا نشير إلى نقطة مفادها أن جانب كبير من خطورة المشكلة يكمن فى حالات التسول والتشرد والإهمال وخطر الفساد الخلقى التى يتعرض لهـــا الأحـــداث أكـــثر من كونها فى حالات الإجرام الفعلى وهى حالات لا تظهر كثيرا فى الإحصاءات الرسمية أو بمعنى أدق ربما لا يتعرض أصحابها لمساءلة قضائية مما يزيد تعقيد المشكلة.(**محمد شحاته ربيع- جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله – ١٩٩٥، ٢٠٨: ٢١٠**)

(جـ) البعد النفسى والاجتماعى

حيـــث نجـــد أن الجانحين المنحرفين يمثلون خطرا على حياة الآخرين من حيث أنهم عنصـــر قلق واضطراب يظهر فى كل حين لونا من ألوان السلوك المنحرف، قد يعرضون فيه حياة الآخرين للخطر وذلك حين يسعى كلا منهم للبحث عن فريسة يقتنصها بسرقة أو نصب أو يمارس لونا من ألوان العمل الفاضح المخالف للقانون.

وكذلك نجد أن هؤلاء المنحرفين يمثلون خطرا كبيرا على أنفسهم وعلى حياتهم ونتيجة لهـــذا الانحراف، وما يصاحبه من عمليات مقاومة له من جانب المجتمع متمثلة فى الإجراءات القانونية أو البوليسية الاجتماعية، يتعرضون لمجموعة من العمليات النفسية الخطيرة التى تزيد مـــن قلقهم واضطرابهم النفسى وربما تجعل منهم فى النهاية شخصيات سيكوباتية أو إجرامية إلى حد بعيد وقد تخلق منهم شخصيات حاقدة على هذا المجتمع لا تعرف سبيلا إلى أهدافها إلا العدوان أو الضغط وبعد فترة أو حين قد يقعون فريسة للمرض النفسى أو العقلى.

(د) البعـــد الاقتصادى

حيـــث تمثل هذه الظاهرة مشكلة خطيرة تتمثل فى الخسارة التى تعود على المجتمع من جـــراء فقـــد هـــذه العناصـــر البشرية التى كان يمكن أن تساهم فى عملية البناء أو التنمية فى المجتمع والتى تتطلب مساعدة واستغلال كل القوى والفئات العاملة. فالجانحون خسارة لأنفسهم وخســـارة لمجتمعهم من حيث هم قوى عاملة معطلة عن العمل و الإنتاج، يعيش الكثير منهم عالة على ذويهم وعلى المجتمع ثم هم إن أنتجوا فلا يكون إنتاجهم إلا القليل، أوالتافه الذى لا يمكن أن يتحقق من ورائه فائدة أو مكسب بل قد يكونون فى مستقبل حياتهم عامل هدم وإعاقة لعملـــية الإنـــتاج حيـــث أن أغلـــب أسلوب حياتهم يقوم إما على العدوان وإما على الاستهتار واللامبالاة.

ومن أخطار هذه الظاهرة اضطراب علاقة الحدث بغيره من الناس وفقده لإمكانية إقامة علاقات إنسانية سليمة مع الغير ولذلك نجد الجانحين باستمرار هائمين على وجوههم، نفوسهم

يعتصرها الألم والحزن والشعور بالحرمان، يهابون الآخرين ويخشون التعامل معهم وبالتالى لا يحسون تأثير الجماعة أو الارتباط بها أو الحاجة إليها. وهذا ما يزيد فى عدوانهم تجاهها والإضرار بها.

ويضاف إلى ما سبق ازدياد أعداد الجانحين وأعداد الجرائم التى يرتكبونها إذ تشير الإحصاءات الأخيرة المختلفة فى أمريكا مثلا إلى ازدياد عدد الجرائم التى ارتكبها الأبناء تحت ١٦ سنة بنسبة ٤٧% وجرائم الجنس بنسبة ٦٩% ومهاجمة الأفراد بنسبة ٧١% بل إنه من الظواهر الخطيرة أن نرى عدد المخالفات والجرائم التى ارتكبها الأطفال فى الولايات المتحدة تصل إلى حوالى مليون ونصف جريمة و مخالفة وهذا يمثل حوالى ٦% من كل الجرائم الكبيرة تقريبا. **(محمد على حسن – ١٩٧٠، ٨ : ٩)**

(٢) التعريفات الخاصة بجناح الأحداث

أ. تعريف الحدث لفظا ومدلولا

الحدث فى اللغة هو صغير السن أو حديث السن ويقال غلام أى حدث وغلمان أى أحداث وقد يقال رجل حدث أى شاب ومنه الحداثة وهى صغر السن أى حداثة العهد بالحياة والحدث لفظا يعنى كذلك الطفل أو الولد ذكرا كان أم أنثى ويقال أطفلت المرأة أى ولدت(٢) وفى نفس المعنى اللفظى نجد كذلك كلمة صبى وصبية وهما تعنيان أيضا صغير السن وصغيرة السن.

إذن من حيث اللفظ فإن الإنسان (الحدث) هو إنسان صغير السن أما من حيث المدلول فإنه يختلف باختلاف ميدان البحث أو ميدان الدراسة ففى ميدان الفقه الإسلامى له مدلوله الخاص وله مدلوله أيضا فى كل العلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وله مدلوله كذلك فى علم الطب العقلى والطب النفسى ثم له مدلول أخر فى القانون. وواقع الأمر أنه يمكن التفرقة بين مدلول (**الحدث**) فى القانون من جهة ومدلوله فى العلوم الأخرى التى ذكرناها من جهة أخرى وذلك على أساس المعيار الذى يؤخذ به فى القانون وذلك الذى يؤخذ به فى تلك العلوم فالقانون يأخذ بمعيار حدى أما باقى العلوم المشار إليها فتأخذ بمعيار وصفى.

(عمر الفاروق الحسينى – ١٩٩٥، ٣٦)

ب. معنى الجناح Delinquency

مصطلح الجانح من المصطلحات التى حدث فيها خلط شديد حتى أنه لا يكاد يوجد اتفاق واحد حول ما نعنيه بالجناح ومن هو الجانح وما هو العمل الذى نعتبره جناحا ولعل السبب فى ذلك هو كثرة وتنوع هذه التخصصات التى تتناول هذه الظاهرة بالدراسة والتحقيق إذ نتيجة

لتـنوع هذه التخصصات تنوعت التعريفات التى وضعت لهذه الظاهرة فرجال القانون يعرفون الجانح بتعريف يختلف عن رجال الاجتماع الذين بدورهم يختلفون عن علماء الجريمة وغيرهم من العلماء الآخرين الذين تناولوا هذه الظاهرة.

والجـــــانح : لفـظ معـناه الآثم واصطلاحا يطلق على الحدث الذى يخالف القانون بارتكابـه جـريمة أو جنحة مخالفة ويحكم بإدانته. ولذلك سوف أستعرض تعريف الجانح من خلال واجهات النظر المختلفة. **(محمد على حسن – ١٩٧٠، ١٠)**

جـ. الانحـراف delinquency

ويقصـد بـه عـدم مسايرة أو مجاراة المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع أو هو الابتعاد أو الاختلاف عن خط معين أو معيار محدد.

(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله – ١٩٩٥، ٤١)

أولا : التعريف من وجهة النظر النفسية وعلماء النفس

إن جـناح الأحـداث هو سلوك لا اجتماعى أو مضاد للمجتمع يقوم عاى عدم التوافق والصراع النفسى بين الفرد وبين نفسه وبين الفرد والجماعة بشرط أن يكون الصراع والسلوك الاجـتماعى سمة واتجاها نفسيا واجتماعيا تقوم عليه شخصية الحدث المنحرف وتستند إليه فى التفاعل مع أغلب مواقف حياته وأحداثها وإلا كان هذا السلوك سطحيا عارضا يزول بزوال أسبابه الناشئة من عوامل اقتصادية وصحية أو حضارية أو ثقافية.

وعلـى ذلـك فانحراف الأحداث ما هو إلا عرض أو مجموعة أعراض وقد يكون هذا العرض انعكاسا لاضطراب وعدم توافق اجتماعى وضغط اقتصادى وصراع حضارى كما قد يكـون عرضـا لاضطراب نفسى أو مرض عقل وقد يكون عرضا لنقص عقلى موروث أو ولادى. **(أنور محمد الشرقاوى – ١٩٨٦، ١٧٢: ١٧٤)**

ثانيا : التعريف الخاص بعلماء علم الاجتماع

لقـد حققت العلوم الاجتماعية والإنسانية تفوقا كبيرا فى تفسير السلوك الإنسانى بصفة عامة والسلوك الإجرامى أو المنحرف بصفة خاصة وكان من أهم نتائج دراسات علم الإجرام التمييز بين إجرام البالغين وانحراف الأحداث ويستند هذا التمييز إلى أن انحراف الأحداث هو جزء طبيعى من عملية نمو الطفل. **(حامد راشد – ١٩٩٦، ١٣٤)**

وأن الطفـل لا يولد ولديه ضمير حى أو معرفة بآداب المجتمع وليست عنده أيضا قدرة الراشد على التفكير السليم بل يكتسب هذه الأشياء بطريقة بطيئة ومؤلمة.

(شارلز و ليونارد – ١٩٨٤، ٢١)

ولذلك يرى علماء الاجتماع أن الانحراف ينشأ من البيئة دون أى تدخل للعمليات النفسية المعقدة التى تلعب دورها على مسرح اللاشعور وهم بذلك يصفون الأحداث المنحرفين على أنهم ضحايا ظروف خاصة اتسمت بعدم الاطمئنان والاضطراب الاجتماعى لأسباب متعلقة بالانخفاض الكبير لمستوى المعيشة الذين يعيشون فى ظله أو هم ضحايا مزيج من هذا أو ذاك.

وقد عرف **منير العصرة** انحراف الأحداث بأنه موقف اجتماعى يخضع فيه صغير السن لعامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية مما يؤدى به إلى السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدى إليه، ووصف الانحراف بأنه موقف اجتماعى من شأنه أن يستجمع حالات الانحراف الإيجابى و السلبى وفيما يتعلق بمظاهر السلوك اكتفى التعريف بوصف السلوك الذى يصدر عن الحدث المنحرف بأنه سلوك غير متوافق أو يحتمل أن يؤدى إلى عدم التوافق وهذا الوصف ذو مدلول واسع ينبسط على كافة المظاهر السلوكية

المضادة للمجتمع سواء كانت جريمة من الجرائم أو عملا إيجابيا أو سلبيا يتعارض مع القواعد المألوفة للجماعة. **(منير العصرة – ١٩٧٤، ٣٦، ٤٠)**

وإذا كان التشريع يهدف من تعريف الحدث إلى تحديد فترة زمنية معينة يطبق بشأنها نظاما مخففا للمسئولية الجنائية على الأحداث فإن علماء الاجتماع ينظرون إلى الأمر من ناحية تعلقه بفترة من حياة الإنسان لها طابعها وخواصها ونوازعها وتمتد فترة الحداثة بنظر علماء النفس والاجتماع حتى يتم النضوج العقلى والاجتماعى لدى الأحداث، فالحداثة لا تتقيد وفقا لنظريتهم بحد أدنى للسن أو بحد أقصى له. فمناط تحديدهم لسن الحداثة ليس ركن التمييز الذى تترتب عليه المسئولية الجزئية بل تلك الفترة من حياة الإنسان منذ ولادته وحتى يكتمل لديه النضج الاجتماعى الصحيح والرشد الكامل.

والواقع أن التعريفات الاجتماعية فى مجال الجريمة والانحراف لم تضع معيار للضرر الاجتماعى وهى حينما تصف السلوك بأنه غير متوافق مع المجتمع فكأنها لم تصف شيئا طالما أن هذه العبارة غير محددة تحديدا دقيقا. ذلك أن هذا التحديد لازم وبالضرورة الملحة حينما يعاقب المرء على سلوكه المنحرف أو حتى إذا عومل معاملة جنائية خاصة تحد ولو بقدر ضئيل من حريته. **(على محمد جعفر – ١٩٨٤، ٩٠٨)**

ثالثا : التعريف القانونى للحدث المنحرف

لقد عرف الحدث بأنه الصغير الذى أتم السن القانونى للتمييز ولم يتجاوز السن التى حددها لبلوغ الرشد. ولذلك تختلف تشريعات الدول فى تعريفها للحدث تبعا لاختلافها فى تحديد سن التمييز وسن بلوغ الرشد ويرجع الاختلاف فى تحديد القوانين لسن الحدث غالبا إلى عوامل

طبيعية واجتماعية وثقافية ولعل أبرز هذه العوامل هو مدى الاختلاف فى درجة النمو الجسمى وحدوث البلوغ على وجه التحديد وذلك بين قطر وأخر تبعا لظروف البيئة الطبيعية وبخاصة البيئة المناخية. **(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله- ١٩٩٥، ٢٠٥)**

ومن هذه التشريعات : التشريع فى القانون المصرى حيث نصت المادة الأولى من قانون الأحداث المصرى القانون رقم ٣١ لسنة ١٩٧٤ على أنه يقصد بالحدث فى حكم هذا القانون من لم يتجاوز سنة ثمانى عشرة سنة ميلادية كاملة وقت ارتكاب الجريمة أو عند وجوده فى إحدى حالات التعرض للانحراف. ونصت المادة الأولى فقرة **(أ) من قانون الأحداث الكويتى** القانون رقم ٣ لسنة ١٩٨٣ على أن المراد بالحدث كل ذكر أو أنثى لم يبلغ من السن تمام السنة الثامنة عشرة ثم أضافت فى الفقرة **(ب)** أن المراد بالحدث المنحرف هو كل حدث أكمل السنة السابعة من عمره ولم يبلغ تمام الثامنة عشرة وارتكب فعلا يعاقب عليه القانون.

أما فى **فرنسا** فقد حدد تشريع سنة ١٨١٠ سن الرشد الجنائى بستة عشر عاما ثم رفعه تشريع سنة ١٩٠٦ إلى ثمانى عشرة سنة ثم صدر مرسوم ٢ فبراير سنة ١٩٤٥ وهو التشريع السارى حتى وقتنا هذا بما لحقه من تعديلات والذى أبقى على سن الرشد الجنائى كما هو فى تشريع عام ألف وتسعمائة وستة أى ١٨ سنة.

ولذلك نجد أن المستفاد من هذه النصوص أن الحدث هو بصفة عامة شخص صغير السن وفى هذا يلتزم المشرع فى كل من هذه التشريعات بالمعنى العام للحدث ولا يشذ عنه.
(عمر الفاروق الحسينى- ١٩٩٥، ٤٩)

ومن هنا نجد أن التعريفات القانونية تبتعد عن تلك التى يعطيها علماء الاجتماع وهى عادة تعمل على أن تعكس الثقافة القانونية والعمليات الإجرائية القضائية التى يتعرض لها الحدث متى برزت وتحققت علامات ودلائل انحرافه وعادة ما نجد فى الاتجاه القانونى وصفا للأفعال المجرمة. وتحديدا للعقوبات عن طريق مصطلحات قانونية خاصة بغية حماية المواطن وتوفير الحماية للمجتمع من أولئك الذين يصبح سلوكهم على درجة معينة من الخطورة الاجتماعية.

ففى انجلترا يطلق تعبير الانحراف على الأفعال التى يرتكبها الأحداث فى حدود سنة معينة والتى تعتبر جرائم اذا ما ارتكبت بواسطة البالغين والحدث المنحرف هو الذى تظهر لديه ميول ورغبات مضادة للمجتمع بشكل خطير بحيث يصبح عرضة للملاحقة.

وفـــى الولايات المتحدة الأمريكية يأخذ هذا المعنى مضمونا أوسع بحيث يشمل انحراف الأحداث الأفعال الإجرامية وغيرها من مظاهر سلوك من شأنها أن تؤدى إلى الانحراف، والتى تدخـــل فـــى النهاية ضمن تقدير محكمة الأحداث. فتشريع ولاية نيويورك مثلا يعرف الحدث المنحرف بأنه من يبلغ سن السابعة ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره ويخالف قانون الولايات المتحدة قانون ولاية نيويورك والذى ارتكب فعلا يعد جريمة إذا ما ارتكبت بواسطة البالغ. وقد رفعت بعض الولايات سن المسئولية الجنائية إلى السابعة عشرة.

وأغلـــب الولايـــات حـــددت سن الرشد الجنائى ببلوغ الثامنة عشرة ويصل فى بعض الولايات إلى التاسعة عشرة وإلى الحادية والعشرين فى بعض الولايات الأخرى.

(على محمد جعفر – ١٩٨٤، ٩)

وترفع بعض التشريعات الحد الأدنى لسن الحدث إلى ثمانى سنوات كالقانون الإنجليزى وإلـــى تسع سنوات كالقانون وكذلك توجد تشريعات تخفض الحد الأقصى لسن الحدث إلى ستة عشرة سنة كالقانون الهندى، والباكستانى، والسيلانى ومنها ما ترفع الحد الأقصى لسن الحدث إلى إحدى وعشرين سنة كالقانون السويدى والشيلى.

(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله- ١٩٦٥، ٢٠٥)

رابعا : التعريف العلمـــــى

الحـــدث فى معناه النفسى والاجتماعى هو الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه النفسى والاجـــتماعى والانفعالى والجسمى وحتى تتكامل لديه عناصر الرشد المتمثلة فى الإدراك التام للأشياء والمواقف والظروف التى تحيط به أى معرفة الإنسان

بطبيعة وصفة عمله والقدرة على تكييف سلوكه وتصرفاته طبقا لما يحيط به من ظروف ومتطلبات الواقع الاجتماعى الذى يعيشه.

(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله- ١٩٩٥، ٢٠٥)

خامسا : التعريف من وجهة نظر الفقهاء المسلمين

لقد عرف الفقهاء الحدث على أنه إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل محرم معاقـــب على تركه لأن الله تعالى قرر عقابا لكل من يخالف أوامره ونواهيه وهو إما أن يكون عقابـــا دنيويا ينفذه الحكام وإما أن يكون تكليفا دينيا يكفر به عما ارتكب فى حق الله، وإما أن يكـــون عقابا أخر ويتولى تنفيذه الحاكم الديان وهو خير الفاصلين. فكل جريمة لها فى الشرع جزاء إما عاجل فى الدنيا وإما أجل فى الآخرة ويتولى الأخير رب العالمين إلا أن يتوب توبة

نصـــوحا ويـــتغمده الله تعـــالى برحمته وغفرانه وهو الغفور التواب الرحيم. هذا تعريف عام ولـــيس بخاص فهو يعمم كل معصية وبذلك تكون الجريمة والإثم والخطيئة بمعنى واحد لأنها جميعها تنتهى إلى عصيان الله تعالى فيما أمر ونهى سواء أكان ذلك العصيان عقوبته دنيوية أم كانت عقوبته أخروية. **(أبحاث الندوة العلمية بالرياض – ١٩٩٥، ١٨: ٢٠)**

ولقـــد وجـــدت الباحـــثة أن بعض المقالات الأجنبية قد تحدثت عن الصفات الشخصية للأحداث المنحرفين ومنها مقال عن دراسة (Misra – V- D,(1983 والتى ذكر فيها انه من خـــلال عقد الاجتماع الهندى لاختبار شخصية الأطفال. والتى اختارت عينة مكونة من تسعين مـــن الذكـــور المنحرفيـــن وفئة من غير المنحرفين الذين تم اختبارهم من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية مقارنة بالذين تم السيطرة عليهم من المنحرفين وجدوا أنهم كانوا أقل ذكاء وأكـــثر نفـــاذا للصـــبر واقـــل اتـــزانا عاطفيا واقل قوة بالنسبة للذات وأقل اعتبارا للمعايير الاجتماعية. وقد ذكر أيضا أنه من خلال هذا الاجتماع تم عمل اقتراح ان يتم تقديم تعليم دينى فى المنهج الدراسى وذلك لتنمية عمل الضمير الأعلى للطلاب وتقليل المشكال الانحرافية.

(Misra – V- D- 1983- 32 -36)

وأيضـــا من خلال المقال الذى كتبه المؤلف (1984) Sharma- Meenakshi والذى ذكـــر فـــيه أن جميع الدراسات أشارت إلى أن المنحرفين الذين هم فى الغالب أقل من مستوى الذكـــاء العـــادى لديهـــم سمات شخصية اجتماعية غير عادية وغير طبيعية ويفتقدون التكيف الطبيعى وبعض الاتجاهات الانتحارية والقلق والنشاطات العائلية وتحقيق الذات عند المنحرفين.

(Sharma- Meenakshi- 1984-21-27)

(٢) العوامل التى يمكن أن تؤدى لجناح الأحداث

علـــى الرغم من العديد من الباحثين المهتمين بالجناح يرون أن أسباب السلوك الجانح أمـــر شخصى ومعقد إلى درجة كبيرة، ومن الصعب الوقوف على سبب بعينه يمكن القول بأنه المســـئول عن الجناح ولذلك فمن الأفضل أن نحدد بعض العوامل ذات الصلة والتى يمكن أن تفيد فى دراسة مختلف حالات الجناح.

ومن العوامل التى تؤدى إلى انحراف الأحداث هى :

١- عوامـــل اجتماعيـــة

وتنقســـم إلـــى نوعين : عوامل اجتماعية داخل الأسرة وعوامل اجتماعية خارج الأسرة وهى: **(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله – ١٩٩٥، ٢١٦)**

أولا : عوامل اجتماعية داخل الأسرة وتنقسم إلى :

(أ) تفكك الأسرة

ويقصد أصلا بتفكك الأسرة انفراط عقدها أى انفصال الزوجين عن بعضهما بالطلاق أو مـــا فى حكمه أو هجر العائلة من أحد الزوجين وقد تتفاقم تلك المشكلة فى حالة الطلاق بزواج أحـــد الوالدين أو كلاهما من زوج أخر فتحل زوجة الأب بدلا من الأم ويحل زوج الأم بديلا عـــن الأب بما يصاحب ذلك غالبا من نظرة جفاء متبادلة بحكم الفطرة بين الطفل وذلك البديل حيث لا يشعر أحدهما نحو الأخر بعاطفة حقيقية.

وقـــد يتمثل التصدع فى سوء علاقة الوالدين مع بعضهما البعض بما يصاحب ذلك من خلافات وصدامات متعددة ومتنوعة فى الشكل والمدى.

ولا يخفى ما للفرضين من أثر سيء على نفسية الحدث فضلا عن انشغال الوالدين عنه إن طوعا أو كرها لسبب أو لأخر فقد يكون من شأن ذلك أن يكره الطفل الوجود فى الأسرة فى الفـــرض الأول لإحساســـه بأنه ينقصه شئ أو أشياء أو لاعتقاده فى الفرض الثانى أنه غير مرغوب فيه أو لتوهمه أنه ربما كان هو سبب ذلك التصدع الأسرى.

وقـــد يتطلع الحدث فى هذه الظروف إلى هجر الوالدين والانخراط فى مجتمع يراه أقل سوء من مجتمعه العائلى ومن ثم يقع صيدا ثمينا لعصابة إجرامية أو شخص منحرف أو رفيق سوء. وقد يجد الحدث من تلقاء نفسه أو بتحريض من الغير فى هذا التصدع فرصة للعب على الحبليـــن والإفادة من الصدام بين أبويه بحيث يصبح مصدرا تصرفات الوالدين وتشكيلها على نحو أو أخر بدلا من أن يكون هدفا لرعايتهما المشتركة. والخطر الأكبر هو أن يتحول شعور الحـــدث هـــذا من مجرد كراهية الوجود مع الوالدين أو أحدهما إلى كراهية الوالدين ذاتهما بل وكراهـــية للمجـــتمع كلـــه فى شخصهما ثم إلى رغبة فى الانتقام من الجميع ومن المرجح فى ظـــروف كهذه أن يكون نصيب الحدث الفشل الدراسى بعد كرهه للمدرسة وهروبه منها حيث ينتهى به المطاف إلى الانحراف.

(ب) انحراف أحد الوالدين أو الأخوة الكبار

(١) يتحقق هذا الغرض فى صور مختلفة كإدمان الأب المخدرات أو المواد الكحولية أو نحو ذلـــك أو حـــتى الانحراف الخلقى سواء من الأب أو الأم أو أحد الأخوة الكبار حيث أن هؤلاء يعدون بالنسبة للحدث بمثابة المثل والقدوة.

(٢) أو أن يقدم أحد الأبوين أو الأخوة الكبار على سلوك خاطئ أمام الحدث ويطلب منه عدم الـــبوح به أو إفشاء سر ما حدث مما يضعف موقف هؤلاء أمام الحدث من ناحية ومن ثم

يقلـــل احتفاء الحدث بنصحهم له فيما بعد. كما أنه من ناحية أخرى قد يدفع بالحدث إلى محاولة تجربة ما رآه من سلوك غير قويم.

(٣) ربمـــا يـــأخذ السلوك المنحرف من الوالدين أو أحد الأخوة الكبار منعطفا أخر فيطلب من الحدث مساعدته فى تنفيذ جانب من هذا السلوك ومن ثم يدربه على الانحراف عملا بدلا من وقايته منه.

والمســئولية هــنا تقع فى جميع الأحوال على الوالدين وعليهما أن يدركا أن الأبناء أمانة فى أعناقهما ففضلا عن واجبهما القانونى فى رعاية الحدث فهما مسئولان أخلاقيا ودينيا واجتماعيا عــن ذلــك. ولذا فإن لم يكن هناك مفر من ممارسة الوالدين أو أحدهما لهذا السلوك المنحرف فليكن ذلك بصورة مستقرة دون الاستعانة بالحدث.

(جـــ) جهل الوالدان بأصول التربية

يأخذ جهل الوالدين بأصول تربية الأبناء صورا عديدة من أهم هذه الصور عدم المبالاة بأخطاء الطفل التى تبدو فى البداية بسيطة بزعم أن ما وقع منه ليس إلا من قبيل عبث الصغار وأنه لن يلبث أن يزول تلقائيا ثم يحدث عملا أن يتفاقم هذا العبث فى غفلة من الوالدين ويتحول إلى انحراف يصعب تداركه.

ومن صور جهل الوالدين بأصول التربية أيضا الشذوذ فى معاملة الأبناء سواء بالتدليل أو القســوة المــبالغ فيها أو التفرقة بين الأبناء فى المعاملة ولا شك أن النتيجة فى جميع هذه الأحوال ليست فى مصلحة الحدث. **(عمر الفاروق الحسينى –١٩٩٥، ١٥٢ : ١٥٦)**

وقد رأى **برت** من خلال أبحاثه أن معاملة الحدث بحزم زائد يمكن أن يولد لديه الرغبة فـــى الانـــتقام أو يمكن أن يولد لديه ردود فعل مادية كالسرقة، ومن ناحية أخرى فإن التساهل الــزائد فى معاملته ينمى لديه شخصية ضعيفة غير قادرة على مواجهة الصعاب التى تصادفه، وغير قادرة على تنمية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، كذلك يدخل ضمن هذه الحالات عدم وجــود نظام ثابت نسبيا للمعاملة لأن التأرجح فى المعاملة يجعل الطفل غير مدرك لكثير من هــذه التصــرفات فلا يستطيع أن يعتاد عليها أو أن يفهمها، ومن جهة أخرى فإن التفاوت فى المعاملــة داخل الأسرة يمكن أن يولد لدى بعض الأحداث الرغبة فى التشفى والانتقام وخاصة إذا ما غذت هذا الشعور عوامل أخرى قد تؤدى بالحدث إلى الانحراف ولذلك يجب التأكيد على أهمية حاجات الطفل والأمان وتأكيد الذات. **(على محمد جعفر – ١٩٨٤، ٦٤)**

(د) فقد أحد الوالدين أو غيابه

(١) وفاة أحد الوالدين والأبناء لا يزالون أحداث فإن عامل الوفاة وحده لا يكفى ليترتب عليه بالضرورة ما من شأنه تعرض الحدث للانحراف إلا إذا افتقد كل مصدر أخر للرعاية كالأم أو العم أو الخال.

(٢) أو إذا ترتب على وفاة الوالد عجز فى اقتصاديات الأسرة قد تنشغل الأم بسده بالعمل.

(٣) كذلك فسفر أحد الأبوين للعمل أو اضطرار الأم للعمل إلى جانب الأب وأن هذا بلا شك أن عبء رقابة الحدث وسد الفراغ الناتج عن غياب أحد الأبوين سوف يقع على الأخر منهما. ولذلك فالمشكلة تزداد صعوبة فى حالة غياب الأبوين معا.

(عمر الفاروق الحسينى – ١٩٩٥، ٣٧)

ثانيا : عوامل اجتماعية خارج الأسرة

وهى عديدة منها الفقر والبطالة والحياة فى المناطق المتطرفة من المدن ومشاكل الرقابة وصحبة رفقاء السوء ومشاكل وقت الفراغ والأثر السيئ للسينما ووسائل الإعلام عامة ومشاكل العمل فى المدرسة أو المصنع وغير ذلك وجوهر كل تلك العمليات السابقة أن الصغار يواجهون حاجات أساسية ويفتقرون إلى وسائل إشباعها بالطرق المشروعة فيبحثون عن وسائل الإشباع غير المشروعة.

١- عوامل نفسية

يكون السلوك الجانح فى بعض الحالات مصاحبا لمشكلات عقلية أو انفعالية أو تربوية ومن ذلك أن الطفل المتأخر عقليا ربما يخرج على القانون و يخالفه من غير قصد على الإطلاق أى أنه يكون ضحية بريئة لانخفاض ذكائه وضعف قدرته فى الحكم وأما بالنسبة للأطفال أصحاب الاضطرابات الانفعالية فإن السلوك الجانح ربما يكون تعبيرا بسيطا عن مشاعر العداوة القوية بعد أن أصابتها الإزاحة فاتجهت إلى المجتمع أو مجرد استجداء للرعاية والاهتمام والعلاج أو ربما استجابة لخبرة هلوسة أو خبرة هذا. كذلك نجد أن أوجه القصور التعليمية من قبيل العجز عن القراءة ربما تعجل بظهور سلوك الانفجار بسبب مشاعر الإحباط من الأعباء المدرسية من ناحية وكوسيلة لتحويل الانتباه من النقص والقصور من ناحية أخرى.

ولذلك نجد أنه من الأفضل هو أن نتدبر كل حالة من حالات الجناح على أساس فردى وذلك على أساس أنه من الصعب أن نجد عاملا أوليا واحدا يمكن أن يعد مصدرا للسلوك الجانح وبالتالى يعد التصور التكاملى أو متعدد الجوانب تصورا مناسبا لأنه يأخذ بعين الاعتبار خصائص الحدث وتكوين الأسرة وتأثيرات جماعة الرفاق وخصائص البيئة المحلية التى تتفاعل فيما بينها لكى تؤدى إلى السلوك المضاد للمجتمع.

(محمد شحاته ربيع-جمعه سيد يوسف-معتز سيد عبد الله – ١٩٩٥، ٢١٧: ٢١٨)

ولقـد ذكـرت كثـير من الدراسات الأجنبية أن كثيرا من الكتاب ناقشوا أسباب جناح الأحداث وأن أحد من هذه المواقف والأسباب تشير إلى أن جناح الأحداث ليس عرضا من عدم التكـيف فـى المجـتمع وإنما نتيجة للتكيف الناتج لثقافة فرعية فى صراع مع الثقافة السائدة للمجـتمع ولكـن الدراسات الحديثة قد ساندت فكرة أن جناح الأحداث هو سوء تكيف شخصى حتى فى نطاق ثقافتهم الفرعية. **(Harris –Joseph – Bobert - J R -1981-69)**

وأيضا ومن خلال الدراسة التى قام بها (برانس –نيلى .أ والتى تكشف الأحداث العلاقة بيـن الكفاءة الأسرية والاعتداء الجسدى على الطفل وجناح الأحداث والتى أشارت نتائجها إلى أن هـناك علاقات هامة فى ثلاث مناطق كفاءة أسرية منخفضة وأشكال عقابية عنيفة (اعتداء جسدى) ارتبطت بتشابه كبير بارتباط فى جرائم عنف وكانت هناك أشكال متعددة من الاعتداء الجسـدى المرتـبطة بالـنزاع والارتباط الضعيف فى العائلة حيث أن جناح الأحداث ارتبط بالصراعات الأسرية وافتقاد الترابط الأسرى. **(Branes – Nelly –A - 1992 – 93)**

وقد ذكر أيضا إنه من خلال كتاب للمؤلف فورجاتش ماريون، د يجرامو ديفس بعنوان (وجهى يانوس "إله الأبواب والبدايات عند الرومان، الترابط والصراع والذى يتناول فى كتابة الصـراع والترابط فى الأسر الأسباب والنتائج والذى أشار إلى أن أسباب جناح الأحداث عدم الرقابة على التصرفات والأوقات التى يقضيها المراهقون خارج البيت مرتبطة بالسلوك الجانح والمعـادى للمجـتمع حيـث أشـار إلى أن الصراع يكون له تأثير سلبى على المراهقين وأن التماسك والترابط له تأثير إيجابى على سلوك المراهقين.

(Forgatch – Marion – S: Degaromo – David –S- 1999- 194-197)